

هل الثورة السورية محرقة "حزب الله"؟!

الأستاذ علي الأمين
الدكتور علي باكير
الأستاذ فادي شامية
الدكتور محمد الأحمد



هل الثورة السورية

محرقة "حزب الله"؟!

مُحْفَوظَاتٌ بِمَبِيعِ الْحَقُوقِ

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

دار عمارة للنشر والتوزيع

عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحَجَّيْرِي
نفاكس ٤٦٥٢٤٢٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن
E-mail: dar_ammar@hotmail.com



هل الثورة السورية محرقة "حزب الله"؟!

د. محمد علي الأحمد

فادي شامية

علي الأمين

علي حسين باكير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

عبد الله الطنطاوي

ما أسهل خديعة الشعوب العربية والإسلامية عامة، والشعب السوري خاصة، فما إن يزعم دعيٌّ أنه يسعى لتحرير فلسطين، وإعلاء راية العروبة والإسلام، حتى يلتف حوله الشعب، ويهتف له، مأخوذاً بالدعاية التي ينفق عليها الدعيُّ من حُرِّ مال الشعب بسخاء، حسب خطة مدروسة، وضعها له من جاء به من الأغرَاب الطامعين بتلك الشعوب، وبخيراتِها، ومن ذوي الأجنِدتِ المشبوهة.

هذا ما فعله الانقلابيون في سورية عامة، وحافظ أسد خاصة، وابنه من بعده، وهذا ما فعله حسن نصر الله، ظهيريُّهما، وعملت وسائل الإعلام عملها في تلميع حزبه الإيراني منشأً وتوجهاً، اللبناني أرضاً، حتى بلغ شأواً لا يستطيع ولا يجروُ أحد أن يمسَّهُ بملاحظة أو نقد.

ثم جاءت الثورة السورية في الثامن عشر من آذار ٢٠١١ لتفضح المسمى (حزب الله) وزعيمه حسن، وكانت فضيحة مدوية، كشفت المستور عن وجهه الطائفي المقيت، عبر اصطفافه الطائفي إلى جانب رصيفه وشقيق روحه بشار، وإذا هما وجهان لعملة إيرانية فارسية شعوبية حاكمة على العروبة والإسلام، مثل أجدادهما من المحوس والقرامطة والحشاشين، بل تجاوزوهم جميعاً بجرائمهم المؤتفة صوتاً وصورة، شكلاً ومضموناً.

ارتكبوا مجازر بمئات الألوف من الشعب العربي، من فلسطينيين وسوريين ولبنانيين وعراقيين، وسوف تنكشف المخبّات عن أهوال غير مسبوقة لم يرتكبها جنكيز ولا هولوكو ولا حسن الصّباح، ولا هتلر وموسوليني، ولا حتى ستالين - المثل الأعلى عند رفعت وأخيه وابن أخيه وأعوانهم - ولا مثل طغاة العصر الحديث.

قال لي الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، في مقابلة إذاعية مسجلة، أذعتها من إذاعة التحالف الوطني لتحرير سورية - إذاعة بغداد - وبحضور العقيد هواري (أبو طارق) عام ١٩٨٥م - :

"إن ما قتله حافظ أسد من الفلسطينيين، أضعاف ما قتله الصهاينة". وسلّوا المقاومة الفلسطينية واللبنانية ما فعل ويفعل (حزب الله) بالمقاومين الوطنيين الأحرار، وليس منهم وفيهم من (حزب الله) و (حركة أمل) من تثق بمزاعمه في المقاومة والممانعة، بعد الذي فعلوه في الجنوب والشمال والشرق والغرب من لبنان، وسلوهم عن مسرحياتهم مع الكيان الإسرائيلي، وادّعائهم التحرير.. سلوهم قبل أن يقتلوهم..

والآن.. قد سجّل التاريخ الذي لا يرحم، أن ما قتله بشار وحزب الله، وملائي قُمّ وجنرالات طهران و(ميليشيات قوات بدر، وفيلق القدس، وعصابات أبي الفضل العباس وعصائب الحق العراقية) يستعصي على الحصر، وأحقادهم على العروبة والإسلام في كل مكان وزمان، أحقاد تاريخية دفينّة، ما هدأت في صدورهم يوماً.

ورحم الله أستاذنا داعية العروبة والإسلام الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب الذي كان يقول لجلسائه: "إن كل ما أصاب المسلمين عبر التاريخ، كان وراءه اليهود، أو المجوس، أو كلاهما".

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا من تأليف أربعة باحثين ومفكرين سياسيين وإعلاميين مشهود لهم بالموضوعية والصدق فيما كتبوا، وأبحاثهم هنا وفي كتاب (المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية) الذي صدر عن "مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية" شاهد على ما نقول. ونقول لأعداء العروبة والإسلام في إيران والعراق وسورية ولبنان من السائرين في ركاب (الولي الفقيه):

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾

”حزب الله“: النشأة والانطلاق والانتماء والولاء

د. ”محمد علي“ الأحمد

رئيس قسم الدراسات السياسية

والتاريخية في مركز أمية

كانت إيران بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م تحت سلطة آل بهلوي، الذين حكموا هذه البلاد بين ١٩٢٥ و ١٩٧٩م، وكانت إيران في الفترة المذكورة شرطي المنطقة والخليج العربي، بالتفاهم والتنسيق مع الدول الأوروبية الاستعمارية وأمريكا.

بعد سقوط الشاه في فبراير/ شباط ١٩٧٩م، كانت توقعات العرب والمسلمين أن يتخلى النظام الإيراني الجديد بزعامة الخميني بعد انتصار الثورة عن نهج نظام الشاه السابق، في الهيمنة والتوسع والعدائية للعرب والمسلمين ولدول الجوار العربي، تفاقماً بالشعارات الإسلامية التي رفعها الخميني ونظامه الجديد، عندما أعلنوا قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وأملاً أن يتخلى الحكام الجدد عن العقلية الاستعمارية العدوانية التوسعية التي حكم بها الشاه محمد رضا بهلوي إيران، ولكن الوقائع وسلوك النظام الإيراني الجديد كانت مخيبة للآمال وأثبتت تمسك النظام الجديد بنهج نظام الشاه الاستعماري البائد، القائم على الهيمنة والتوسع على حساب دول الجوار، وكان هذا النهج هو ذاته الذي استبد بالعقلية الحاكمة في الإمبراطورية الفارسية الجوسية في إيران منذ

ما قبل الإسلام وحتى اللحظة الراهنة، وقد برز في بعض أدوارها الغلو والتشدد الطائفي المذهبي على يدي مؤسس الدولة الصفوية إسماعيل بن حيدر الحلبي الصفوي الفارسي، مطلع القرن السادس عشر الميلادي/ العاشر الهجري، والجنوح والغلو من إسماعيل الصفوي في العداء الشديد للأمة الإسلامية، لكن الخلفاء العثمانيين، تنبهوا للمشروع الصفوي فتصدوا له وردوه على أعقابهم، وتوجه الخليفة العثماني آنذاك السلطان سليم الأول بنفسه في حملة عسكرية كبيرة، فأعاد بغداد إلى السيادة الإسلامية العثمانية ١٥١٤م، وكان قد احتلها الصفويون قبل ذلك بقيادة إسماعيل عام ١٥٠٨م، ثم تقدم السلطان سليم الأول بجيشه، فدحر إسماعيل الصفوي في معركة جالديران الشهيرة قرب عاصمة الصفويين تبريز، وزحف حتى دخل تبريز في ٤ سبتمبر/ أيلول ١٥١٤م/ ١٤ رجب ٩٢٠هـ، وفتحها رداً على هجوم إسماعيل الصفوي على بلاد المسلمين^(١)، وأعاد للأمة الإسلامية هيبتها، وحفظ لها وحدتها وهويتها تحت راية الخلافة الإسلامية على منهج أهل السنة والجماعة، وأوقف المد الشيعي الصفوي الزاحف لتشيع ديار الإسلام بالقوة العسكرية.

وفي التاريخ المعاصر واستمراراً لمنهج الصفويين أجداده بنشر التشيع في العالم الإسلامي، والتفكير بعقلية الهيمنة والتوسع، لجأ مرشد

(١) الحمادي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط ٨، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٨٩-١٩٠.

الدولة الصفوية الجديدة آية الله خميني، وخامنئي من بعده، إثر توليها السلطة في إيران عام ١٩٧٩م، إلى اعتماد النهج الصفوي ذاته، ولكن بمسمى جديد أطلقوا عليه: (تصدير الثورة)، وذلك بالتمدد خارج حدود بلادهم، وزرع أورام سرطانية طائفية خبيثة في المجتمعات العربية والإسلامية من أجل تشييعها، باستخدام القوة حيناً، ووسائل الإجرام والترغيب بالمال والإغراء بالفساد الأخلاقي أحياناً أخرى، ولإيجاد مسوغات للتدخل في البلاد العربية والإسلامية، وذلك بتكوين كيانات طائفية شيعية موالية لإيران داخلها، وإيجاد مؤيدين من العرب والمسلمين للمشروع الصفوي الإيراني، وترفع في سعيها لذلك شعارات وطنية وإسلامية كأهزوجة للخداع وإثارة مشاعر وعواطف البسطاء والعامية من أبناء المسلمين، مثل مناصرة فلسطين وتحرير القدس وغيرها من الشعارات البراقة، من أجل استمالتهم لجانبها، ولتمرير مخططاتها وأهدافها المشبوهة في البلاد العربية والإسلامية، فهي تحمل إستراتيجية ومشروعاً يقوم على التمدد خارج حدودها، باستخدام الكيانات والمجموعات الشيعية الموجودة داخل المجتمعات العربية باصطناعها كأذرع إقليمية في كل بلد عربي وإسلامي، من أجل تحقيق حلم هراطقة الدين الصفوي الجديد، آيات الله؛ الخميني ومن جاء معه وبعده، وفرض مشروعها الكبير وإستراتيجيتها الرامية للسيطرة على العالم الإسلامي.

إذاً إيجاد الخلايا الشيعية في البلدان العربية والإسلامية، واصطناعها كأذرع تأتمر بأمر مُصدري الثورة الخمينية قادة المشروع الصفوي الجديد،

هو النهج والإستراتيجية المعتمدة لهؤلاء، وقد دبروا ذلك وخططوا له بعناية لإنجاح خطتهم، فأنشأوا العديد من الأحزاب والجماعات والجيوب الطائفية والمذهبية، ثم وجهوها كأدوات وبأشكال حزبية وسياسية وعسكرية موالية لهم في العديد من البلدان العربية والإسلامية، وكان من أبرز نجاحات إيران في إيجاد تلك الأذرع وفي إعدادها ورعايتها رعاية كبيرة تأسس ما سمي بـ: "حزب الله"، الذي زرعه الإيرانيون على الأرض اللبنانية، ونجحوا بسبب الحشد الإعلامي والمديح الضخم له وبتأثير الشعارات اللامعة التي رفعوها، في تكوين هالة كبيرة له في أعين الشعوب العربية، وفي رسم صورة خيالية عنه، جذبت العديد من أبناء الأمة، جراء الانبهار به والتعاطف معه، والإعجاب بشعاراته المعلنة مثل مقاومة الاحتلال الصهيوني لفلسطين، والمواجهة المسلحة معه، من خلال تركز عناصر حزب الله في المناطق الجنوبية من لبنان المتاخمة لحدود فلسطين المحتلة.

ولأجل الوقوف على حقيقة "حزب الله"، وإبراز دوره المحوري والأهم في الإستراتيجية الإيرانية، وموقعه في المشروع الإيراني للهيمنة على المنطقة العربية وعلى العالم الإسلامي، يأتي التعريف بهذا الحزب، وبيان ظروف وملازمات تأسيسه وانطلاقته، وكشف مرجعيته الدينية والعقائدية والفكرية، والتعرف على الأساس التكويني والثقافي والإيديولوجي له، وبيان مدى فاعلية وتأثير وجوده على الساحة اللبنانية، كركيزة كبرى للمشروع الإيراني في المنطقة، نظراً لحساسية

موقع لبنان الجغرافي والسياسي، وتركيبته السكانية الحساسة في بلاد الشام، بحيث يكون لبنان الحلقة المكتملة للهلال الشيعي الذي رسمته إيران الصفوية ضمن مخطتها لابتلاع المشرق العربي، ثم استكمال الخطوات والمراحل اللاحقة في حال بلوغ الهدف الأول، ونجاح المرحلة الأولى من المشروع الإيراني !!

تأسيس "حزب الله" وانتماؤه وولائه

أولاً: الأساس التنظيمي لـ "حزب الله" وانبثاقه

تمتد جذور "حزب الله" إلى أعماق العمل السري الإيراني في عقد الخمسينيات من القرن العشرين وتعد أرض العراق المنبت الأصلي لبذرة هذا الحزب ذي التوجهات العقائدية الشيعية عندما أسس حزب الدعوة في العراق في صيف عام ١٩٥٩م على يدي محمد باقر الصدر^(١).

تبع ذلك اجتماع في عام ١٩٦٩م، ضم العديد من أقطاب شيعة العراق: في منزل محمد باقر الصدر في مدينة النجف العراقية، وتدارسوا فيه الخطط والمشاريع التنظيمية السرية وتوجهات الشيعة في البلاد العربية، خاصة في العراق ولبنان، تحت مظلة المرجعية الدينية الإيرانية، وتمخض عنه وضع حجر الأساس التنظيمي والأيدولوجي لـ "حزب

(١) المدني، توفيق، أمل وحزب الله في حلبة المجاهبات المحلية والإقليمية، دار الأهالي، ط١، دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٣٣.

الله " كفكرة وأهداف، لكن دون الإعلان عنه وإشهاره ودون تحديد اسمه، على أن يتم ذلك بعد عودة الزعماء الشيعة اللبنانيين المشاركين في هذا الاجتماع إلى لبنان لاحقاً، وكان من أقطاب شيعة العراق محسن الحكيم ومحمد باقر الصدر وأبو القاسم الخوئي، إضافة للمشاركين من شيعة لبنان، وهم: صبحي الطفيلي وحسن الكوراني وحسن مَلَك، وموسى الصدر (الإيراني الجنسية والنسب، اللبناني الإقامة والمسكن)، فالذي تقرر في الاجتماع المذكور هو تشكيل تنظيم للشيعة في لبنان، يقوده موسى الصدر بعد عودته إلى لبنان، وفي حقيقته ونسخته الأولى صورة عن حزب الدعوة العراقي، من حيث الولاء والانتماء الشيعي الموالي لإيران، وفق المذهب الشيعي الاثني عشري السائد في إيران آنذاك، وكذلك من حيث الفكر التنظيمي والحركي^(١).

واستكمالاً لهذا التوجه السياسي لشيعة العراق ولبنان، عاد شخصان آخران إلى لبنان كانا يدرسان في حوزة النجف، الأول هو محمد حسين فضل الله، عاد عام ١٩٦٦م، والثاني هو محمد مهدي شمس الدين، عاد لاحقاً أيضاً، واتجه الاثنان لاستقطاب الشيعة، وخاصة قطاع الشباب، وتوجيههم نحو التكتل والعمل السياسي والتنظيمي، من أجل إقامة كيان حزبي مترابط ومتين للشيعة في لبنان،

(١) بلقزيز، عبد الله، المقاومة وتحرير الجنوب، حزب الله من الحوزة العلمية إلى الجبهة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠ م، ص ٤٢-٤٣. المدبني، أمل وحزب الله، ص ١٣٣ .

وبرز دورهما في العمل السياسي وفي التوجيه الفكري، وفي التأطير الفقهي للمذهب الاثني عشري للطائفة الشيعية في لبنان.

بدأ موسى الصدر إثر رجوعه إلى لبنان عام ١٩٥٩م بالسعي لتشكيل التكتل والتيار السياسي من شيعة لبنان، من أجل الدفاع عن حقوقهم على الساحة السياسية اللبنانية، ونجح في تأسيس " حركة المحرومين " باسم شيعة لبنان، وأخذ يساوم النظام السياسي في لبنان، الذي بُني في الأصل على الطائفية منذ استقلال لبنان عام ١٩٤٣ م، كي يحقق الصدر لشيعة لبنان مزيداً من الحضور والنفوذ في النظام السياسي اللبناني القائم على المحاصصة بين الطوائف، واستطاع تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى كتنظيم طائفي سياسي مذهبي، يضم كافة ألوان الطيف السياسي والديني من الشيعة اللبنانيين، وقد انضم إلى هذا المجلس لاحقاً محمد حسين فضل الله ومحمد مهدي شمس الدين، وأصبح المجلس بعد تشكيله ناطقاً رسمياً باسم شيعة لبنان، واعترفت الدولة اللبنانية به ككيان شرعي رسمي ممثل لشيعة لبنان من النواحي المذهبية الدينية والاجتماعية والسياسية والعلمية^(١).

تطور التشكيل السياسي والتنظيمي الذي أسسه موسى الصدر باسم " حركة المحرومين " في ٢٢ حزيران ١٩٧٣م إلى ولادة حركة جديدة أطلق عليها الصدر: أفواج المقاومة اللبنانية، واصطلح على

(١) بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان، ص ٤٣- ٤٤ .

تسميتها " حركة أمل " ، وكان ذلك يوم ٦ تموز عام ١٩٧٥ م ، وكلمة أمل اختصار بالأحرف الأولى لعبارة: أفواج المقاومة اللبنانية، واعتبرت حركة أمل منذ ذلك الحين أول تنظيم عسكري وسياسي للشيعة اللبنانيين، وكان الصدر ذو الأصل والمنبت الإيراني قد حصل على الجنسية اللبنانية عام ١٩٦٣ م، وصار بعد ذلك الأب الروحي لحركة أمل، وقائداً للعمل السياسي والعسكري لشيعة لبنان^(١).

ثانياً: التحولات في الساحة الشيعية اللبنانية وانشقاق حركة أمل:

لعب موسى الصدر دوراً مهماً في الحرب اللبنانية، واستطاع من خلال هذه الحرب احتكار التمثيل الشيعي في لبنان باسم حركة أمل، والظهور بمظهر المؤازر للحركة الوطنية اللبنانية والمتحالف مع المقاومة الفلسطينية على الساحة اللبنانية، ولكن تدخل النظام السوري في لبنان، وانحياز الرئيس السوري حافظ الأسد بشكل صريح وواضح للأطراف الأخرى ضد الحركة الوطنية اللبنانية، والسعي لتحجيم المقاومة الفلسطينية وإخراجها من لبنان، بالتفاهم مع الكيان الصهيوني والأمريكان، كما أن غياب موسى الصدر عن الساحة اللبنانية واختفائه في أواخر شهر أغسطس / آب سنة ١٩٧٨ م في ليبيا، عندما كان في زيارة رسمية لها أثناء حكم معمر القذافي، وما يمثله غياب الصدر كقائد

(١) زهر الدين، صالح، الحركات والأحزاب الإسلامية وفهم الآخر، دار الساقى، ط١، بيروت، ٢٠١٢ م، ص ٣٢٣

ومؤسس لحركة أمل، على استقرارها وتماسكها، وكشخصية تاريخية تعد الأبرز والأهم بين القيادات الشيعية في لبنان، علاوةً على نجاح ثورة الخميني في إيران في فبراير/ شباط ١٩٧٩م، وتوجهه لتصدير الثورة، والسعي لإيجاد ذراع سياسي وعسكري تابع له على الساحة اللبنانية، بحيث يسهم في تحقيق الأهداف التوسعية والهيمنة لإيران الجديدة ولنظام الخميني على المنطقة العربية، ويوجه شيعة لبنان لخدمة المشروع الإيراني ويحقق أهداف هذا المشروع في المنطقة العربية، وبالتنسيق مع نظام حافظ الأسد الطائفي في سورية.

هذه العوامل والمتغيرات كلها؛ دفعت نظام الخميني عن طريق سفيره في دمشق آية الله علي أكبر محتشمي، للسعي لشق حركة أمل، والدفع بأشخاص من قاداتها لتأسيس فصيل جديد يؤدي الدور الذي يرسمه نظام خميني له، وكان ذلك بتأسيس " حزب الله " ^(١) وقد علل هذا التحرك الإيراني بأنه إعادة تأهيل لحركة أمل، وإصلاح لها بإحداث تغييرات جذرية فيها، لأن إيران لم تكن راضية عنها في المرحلة السابقة، متذرةً بوجود توجهات علمانية لبعض قادة هذه الحركة، وبالأخص المحامي نبيه بري الأمين العام الجديد لها، بعد اختفاء أمينها السابق

(١) الموسوي، صباح، مقال بعنوان: حزب الله، بتاريخ ٧/٨/ ٢٠٠٧ م. موقع إيلاف الإلكتروني، www.elaph.com. عبد الخالق حسين، حزب الله امتداد إيراني لزعة استقرار لبنان والمنطقة، مقال في كتاب: حزب الله الوجه الآخر، إعداد وتقديم أحمد ابو مطر، دار الكرمل، ط ١، عمان، ٢٠٠٨ م، ص ١٤٧-١٤٨.

موسى الصدر، ومبدية امتعاضها من مواقفه، خاصةً أتباعه سياسةً ونهجاً توافقياً على الساحة اللبنانية، ويغلب عليه من خلال هذا النهج الولاء الوطني لوطنه لبنان، والتعاطف مع الحركة الوطنية اللبنانية التي يقودها آنذاك وليد جنبلاط، بالتحالف مع المقاومة الفلسطينية وحركة فتح الموجودة أصلاً على الأراضي اللبنانية. لهذا سعى الإيرانيون لإيجاد تيار شيعي آخر رديف لحركة أمل ينفذ التوجهات الإيرانية ويحل محل نبيه بري في توجيه شيعية لبنان وفق الإستراتيجية والمشروع الإيراني في المنطقة^(١).

ثالثاً : بروز اسم "حزب الله" :

بعد أن اتخذت إيران من انضمام حركة أمل بقيادة نبيه بري لهيئة الإنقاذ الوطني التي شكلها رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك إلياس سركيس في تموز عام ١٩٨٢م لمواجهة الغزو الصهيوني للبنان، والتي كانت تضم في عضويتها، بالإضافة لنبيه بري ممثل حركة أمل، كلاً من بشير الجميل ممثل القوات اللبنانية، ووليد جنبلاط زعيم الحركة الوطنية اللبنانية وممثل الدرروز في لبنان، وجدت الفرصة مواتية لها لإضعاف حركة أمل وتأسيس تيار شيعي موالٍ لها، فطلبت من سفيرها في لبنان موسى روحاني دعم حسين موسوي عضو قيادة حركة أمل، وإبراز قيادات جديدة في هذه الحركة، وإطلاق اسم حركة أمل الإسلامية على

(١) بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان، ص ٤٦ - ٤٧ .

التيار الجديد، ثم اتخذ التيار المنشق عن حركة أمل لنفسه تسمية جديدة، هي الاسم الابتدائي لـ: "حزب الله"، وتصاحب ذلك مع الاجتياح الصهيوني للبنان في تموز من صيف عام ١٩٨٢م، وقد لعبت إيران دوراً توجيهياً مؤثراً لإبراز "حزب الله" إلى واجهة العمل السياسي اللبناني، وتقديم هذا الحزب ليكون هو الموجه والقائد لشيعة لبنان، والمتفرد في التحدث باسمهم أمام الرأي العام اللبناني ثم الإقليمي والدولي، فعمدت إلى إحلال حركة أمل الإسلامية أو حزب الله، بدل حركة أمل، أو النسخة الأولى من أمل، التي تراجع دورها على الساحة الشيعية اللبنانية، وفي مواجهة الأحداث الإقليمية والدولية، وتم الإعلان عن تأسيس التيار الجديد من أمل، وأن يوسم هذا التيار باسم: "حزب الله" المستوحى من الآية الكريمة^(١): "ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون"^(٢).

رابعاً: إعلان تأسيس "حزب الله":

أخذت إيران الخمينية وبالتعاون مع نظام حافظ الأسد الذي يسيطر على الساحة اللبنانية منذ دخول قواته لبنان عام ١٩٧٦م، بحجة إيقاف الحرب الأهلية، أخذت تدعم "حزب الله" وتؤهله ليكون القوة الرئيسة الأولى سياسياً وعسكرياً على الساحة اللبنانية، بديلاً عن حركة أمل أو

(١) بلقزيز، المرجع السابق، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٦ .

متقدماً عليها، وإعطاء زعيمها نبيه بري بعد اختفاء موسى الصدر، دوراً قيادياً مسانداً لـ "حزب الله"، وواجهة سياسية تمثل الشيعة اللبنانيين في المؤسسة الرسمية اللبنانية، وبدا التنافس واضحاً وظهر الصراع جلياً بين جناحي التكتل الشيعي على الساحة اللبنانية، "حزب الله" كتيار شيعي جديد وقوة مدعومة إيرانياً وسورياً، يقود الشيعة ويمثلهم سياسياً ودينياً وعسكرياً، وحركة أمل بزعامة نبيه بري التي تحرص على الاحتفاظ بمكاسبها ومواقعها، وقد تمكن "حزب الله" جراء الصدام العسكري مع حركة أمل من طردها من منطقة البقاع ومن مناطق أخرى، وأدى ذلك إلى انحسار قوة ودور حركة أمل، وانضمام كثير من كوادرها لـ "حزب الله" بتشجيع النظام الأسدي وإيران^(١)، ولم تقف إيران عند هذا الحد بل بدأت ومنذ عام ١٩٨٢م، وهو التاريخ الفعلي لانطلاقة "حزب الله"، بالدعم المباشر لهذا الحزب مالياً وعسكرياً وعلى كافة الصُّعُد، وبدأت بإدخال عناصر الحرس الثوري الإيراني إلى لبنان عبر سورية، وبلغ عدد هذه العناصر خلال ثلاثة أعوام بين ١٩٨٢م و١٩٨٥م، أكثر من أربعة آلاف عنصر من الحرس الثوري، استقروا في منطقة البقاع، وكانت تخضع آنذاك بأكملها للنفوذ السوري، وقد دأب الحرس الثوري الإيراني خلال السنوات الثلاث المذكورة على بناء كوادر "حزب الله"، وتأسيس البنية العسكرية والأمنية والدينية والثقافية لهذا الحزب، ومجولول عام ١٩٨٥م، وفي السادس عشر من فبراير/ شباط منه، اكتمل بناء

(١) الشيباني، الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي، ص ٢٠٢ .

مؤسسات " حزب الله " وبناء التحتية، وأعلن عنه رسمياً باسم " حزب الله " ^(١)، وأعلن أيضاً بشكل رسمي أنه تابع لإيران، وفق ما ذكر نعيم قاسم نائب رئيس هذا الحزب في كتابه " حزب الله، المنهج، التجربة، المستقبل " إذ قال: " إن إعلان الحزب في العام ١٩٨٥ م، كان باسم حزب الثورة الإسلامية في لبنان، حزب الله " ^(٢) .

خامساً: منهج حزب الله :

وفق تصريحات وبيانات المؤسسين لـ " حزب الله " والقياديين فيه، فإن منهج الحزب المعلن عند التأسيس، هو ذاته منهج حزب الدعوة العراقي، وأنه لا يتعد كثيراً عن فكر محمد باقر الصدر مؤسس حزب الدعوة العراقي، لا سيما أن بعض قيادات " حزب الله " اللبناني كانوا من تلاميذ محمد باقر الصدر، ومنهم حسن نصر الله الأمين العام الرابع لحزب الله ^(٣)، وتشير مصادر " حزب الله " والمصادر التي كتبت عنه أن بنيته الأيديولوجية والسياسية والتنظيمية تؤكد على التزامه عقائدياً بالفكر الشيعي الإمامي، وبالمرجعية العقائدية والسياسية والمذهبية

(١) الأمين، علي، تجليات المشروع الإيراني في لبنان، بحث في كتاب المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، ندوة فكرية نظمها مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية في القاهرة، بتاريخ ١٤/١٠/٢٠١٢ م، نشر: دار عمار في عمان، ٢٠١٣ م، ص ٧٩ .

(٢) موقع إلاف الإلكتروني شهر ٦ / ٢٠١٢ م www.elaph.com، وانظر: المدني، أمل وحزب الله، ص ١٤٢ .

(٣) الشيباني، الحركات الأصولية الإسلامية في العالم العربي، ص ٢٠٣ .

بالمذهب الإثني عشري، الذي تتخذه جمهورية إيران بقيادة الولي الفقيه الإمام الخميني ومن خلفه الإمام الخامني، مذهباً رسمياً للدولة، ومنهجاً عاماً يحكم تشريعاتها ومعاملاتها الداخلية والخارجية، ويندرج هذا المنهج على "حزب الله" اللبناني المرتبط ارتباطاً عضوياً وثيقاً بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويتبعها اتباعاً مطلقاً، "حيث يلتزم الحزب بأوامر وقيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني" (١).

النص الآنف الذكر يشير بشكل واضح لا لبس فيه أن منهج "حزب الله" هو ذاته منهج الثورة الإسلامية في إيران كما يسميها أتباعها، وهو، أي "حزب الله"، واجهة النظام الإيراني عقائدياً ودينياً ومنهجياً، ونشاطه العام لا يمكن أن يخرج عن دائرة التوجهات الإيرانية، وقادة "حزب الله" يجهدون أنفسهم لنيل أوسمة الرضا الإيرانية (٢).

سادساً: التكوين والبنية التنظيمية لـ "حزب الله":

يدل التكوين الداخلي لـ "حزب الله" أنه حزب عقائدي يعمل بستار حديدي من السرية المطلقة في مجالاته المختلفة، مع الإعلان

(١) المدني، أمل وحزب الله، ص ١٢٥ .

(٢) شحادة، محمد نور الدين، حزب الله بين الواقع والحقيقة، دار صفاء، ط١، عمان، ٢٠٠٧م، ص ١٢٢ .

والتصريح في بعض الجزئيات المتعلقة بتشكيلاته الظاهرية التي لا يرى خطورة في كشفها، وفي أضيق الأطر، كي لا يعرف عنه أي شيء، ولا تحدث اختراقات أمنية تهدد خلاياه وكوادره التنظيمية، وتكشف خططه ومشاريعه السرية المرتبطة بالسياسة والإستراتيجية الإيرانية في لبنان وعلى المستوى الإقليمي، فالقيادة طَيَّ الكتمان ويتم تعيينها من قبل الولي الفقيه آية الله الخميني شخصياً، ويطلق على هيكل القيادة في " حزب الله ": مجلس الشورى، وهذا المجلس يتكون من اثني عشر عضواً أكثرهم من الزعامات الدينية إضافة لبعض العسكريين، وكانت قيادة " حزب الله " في بداية تأسيس الحزب تتألف من سبع شخصيات، ثم اتخذت قرارات تجعل القيادة تسع شخصيات، ثم استقر الرأي لتكون اثنتي عشرة شخصية، ويتخذ القرار فيما بينهم بالأكثرية إذا تعذر الإجماع، وفي حال عدم القدرة على اتخاذ قرار بالإجماع يرفع القرار إلى الإمام الولي الفقيه، وهو الخميني أو من يأتي بعده، ليصدر القرار المناسب في القضية المراد حسم أمرها ومعالجتها^(١) .

- وقد قسّمت الساحة اللبنانية من الناحية الإدارية إلى أقاليم ثلاثة

هي:

١. إقليم بيروت والضاحية الجنوبية .

(١) شرارة، وضاح، دولة حزب الله ((لبنان مجتمعاً إسلامياً)) دار النهار، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤ - ٨ .

٢. إقليم البقاع .

٣. إقليم الجنوب .

وترتبط هذه الأقاليم تنظيمياً بمجلس الشورى الأعلى، بعد أن ينتخب كل إقليم مجلس شورى فرعياً خاصاً به، يكون أحد أعضائه عضواً بمجلس الشورى الأعلى، ويتفرع عن مجلس الشورى الأعلى سبع لجان هي: الفكرية، المالية، السياسية، الإعلامية، العسكرية، الاجتماعية، القضائية، وهذه اللجان كما هي موجودة في مجلس الشورى الأعلى، فلها مثيلاتها في مجالس الشورى الفرعية^(١).

سابعاً: الأمناء العامون لحزب الله ((القيادة)):

تعاقب على قيادة "حزب الله" منذ تأسيسه عام ١٩٨٢م، وحتى الوقت الراهن عام ٢٠١٤م، أربعة أمناء عامون أو قادة هم على التوالي:

١. إبراهيم أمين السيد، الذي عرف بـ: إبراهيم الأمين، بين

١٩٨٥م-١٩٨٩م.

٢. الشيخ صبحي الطفيلي، بين ١٩٨٩م-١٩٩١م.

(١) المدبني، أمل وحزب الله، ص ١٤١ - ١٤٢، وانظر: محمد عبد العاطي، حزب الله
النشأة والتطور، موقع الجزيرة نت www.aljazeera.net.

٣. عباس الموسوي بين ١٩٩١م-١٩٩٢م، اغتالته إسرائيل في ١٦ شباط ١٩٩٢ م .

٤. حسن نصر الله، الذي تولى قيادة حزب الله عام ١٩٩٢م، وما زال نصر الله أميناً عاماً للحزب حتى الوقت الحالي^(١).

ثامناً: هوية حزب الله ((الانتماء والولاء)) :

أصدر " حزب الله " اللبناني وثائق عدة أهمها:

- الرسالة المفتوحة: أعلنها أول قائد أو أمين عام لـ " حزب الله " إبراهيم الأمين في ١٦ شباط ١٩٨٥م، وهي بمثابة بيان عام - حسب رأيه - إلى المستضعفين في لبنان والعالم .

- وثيقة التفاهم، أو بالأحرى التحالف بين " حزب الله " بقيادة أمينه العام حسن نصر الله وبين التيار الوطني الحر، الذي يمثل شريحة من المسيحيين اللبنانيين، بقيادة زعيمه العماد ميشيل عون، وكانت في فبراير/ شباط ٢٠٠٦ م .

- إعلان حسن نصر الله أمين عام حزب الله الحالي في الثلاثين من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ٢٠٠٩م موقف حزبه من ولاية الفقيه، وهذا ما يتصل بالسياق في هذا المقام، أفصح فيه نصر الله عن هوية حزب الله

(١) زهر الدين، الحركات والأحزاب السياسية وفهم الآخر، ص ٣٥٠ بلقزيز، المقاومة وتحرير جنوب لبنان، ص ٤٧ .

الفكرية والعقائدية، وأعلن بصورة لا تقبل التأويل أن ولاء حزب الله وانتماءه هو للولي الفقيه، وأن موقف حزبه من هذا الولي هو موقف فكري وعقائدي وديني، أي موقف ثابت لا مجال للتراجع عنه أو المساومة حوله، وليس موقفاً سياسياً خاضعاً للمراجعة^(١).

في الوثيقة الأولى يكشف الحزب الهوية الحقيقية له، وقد ذكر أن أفق هذا الحزب هو الأمة الإسلامية، ولاشك أنه ينظر إلى هذه الأمة من منظاره الفكري والعقائدي، ويراهم بأنها الأمة التي ينبغي عليها أن تكون تابعة ومنقادة لمرشد ثورة إيران الخميني، وهو الولي الفقيه الذي يدين "حزب الله" بالولاء والتبعية له، فهو يؤكد على وجود أمة إسلامية واحدة يقودها الولي الفقيه، وعلى هذا الأساس يتحدث أمين عام "حزب الله" آنذاك إبراهيم الأمين عن تأسيس حزبه عام ١٩٨٥م فيقول: من نحن وما هي هويتنا؟! ويجب نفسه بالقول: إننا أبناء أمة "حزب الله" التي نصر الله طليعتها في إيران، نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل الولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدد آية الله العظمى وروح الله الموسوي الخميني، مفجر ثورة المسلمين وبعث لنهضتهم المجيدة"^(٢).

(١) زهر الدين، الحركات والأحزاب السياسية وفهم الآخر، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .
قزي، فايز، حزب الله أفنعة لبنانية لولاية الفقيه، دراسة وثائقية، نشر رياض الريس، ط ١، بيروت، ٢٠١٣م، ص ٣٦ .

(٢) زهر الدين، الحركات والأحزاب الإسلامية وفهم الآخر، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .
المديني، أمل وحزب الله، ص ١٤٢ - ١٤٣ . وانظر: محمد عبد العاطي، حزب الله، النشأة والتطور، موقع: الجزيرة نت www.aljazeera.net .

أما حسن نصر الله الأمين العام الرابع للحزب، فقد اعترف بلسانه في خطابه يوم ٢٦ / ٥ / ٢٠٠٨م، فيما أطلق عليه عيد المقاومة، فقال: "أنا أفتخر أن أكون فرداً في حزب ولاية الفقيه، الفقيه العادل، الفقيه العالم، الفقيه الحكيم، ... الفقيه المخلص" (١).

وفي سياق الحديث عن تبعية "حزب الله" وولائه الكامل لإيران، يذكر خير الله خير الله أن هذا الحزب كشف مهمته الحقيقية حين اجتاح بيروت يوم الأربعاء السابع من مايو/ أيار عام ٢٠٠٨م، وكشف وظيفته الحقيقية في لبنان وهي تنفيذ الخطط الإيرانية، وتحويل لبنان إلى محافظة إيرانية، على غرار العراق التي حولها الوكيل الإيراني هناك نوري المالكي إلى كيان سياسي ملحق بإيران، وعلى غرار ما تفعله في العراق العربي الميليشيات المذهبية الطائفية التابعة للأحزاب الشيعية العراقية، ويشير خير الله إلى أن "حزب الله" لم يكن مقاومة إلا بمقدار ما تصب هذه المقاومة في خدمة المحور الإيراني السوري، ولذلك وجه "حزب الله" سلاحه إلى صدور اللبنانيين لمجرد أن ذلك يخدم النظام الأسدي الذي أجبر على الخروج من لبنان عام ٢٠٠٥م، ويساعد في جعل لبنان رهينة للمحور الإيراني السوري (٢).

(١) أحمد أبو مطر، خطاب حسن نصر الله، مقال في كتاب: حزب الله الوجه الآخر، ص ١٨٢. وانظر: موقع إيلاف: خطاب حسن نصر الله في عيد المقاومة عام ٢٠٠٨م www.elaph.com.

(٢) خير الله خير الله، عندما يكشف حزب الله مهمته الحقيقية، صحيفة الرأي العام الكويتية، ٩/ أيار/ ٢٠٠٨م، قزي، أقتعة لبنانية لولاية إيرانية، ص ٣٨.

أما عبد الوهاب بدر خان فقد ذهب إلى أبعد من هذا، وهو يشير إلى إيران الشيعية الجديدة في ظل نظام الخميني وخلفائه الحكام الحاليين، ومنهجهم بتصدير الثورة واصطناع الميلشيات الطائفية في البلاد العربية، ويشير إلى دور "حزب الله" التخريبي كذراع إيرانية وركيزة كبرى في مشروع وإستراتيجية إيران الطائفية في المنطقة العربية، فيقول: "إيران الجديدة بمشروعها الخطير تثير الشكوك والمخاوف بهياجها المنهجي، المنفلت أحياناً كثيرة، خصوصاً في ممارسات ميليشياتها في لبنان والعراق. إيران بالغت بإثارة النعرات المذهبية في خطابها، وبالعدوانية والاستكبار في سلوكها، إلى حدّ أنها استقرّت في أذهان العرب كـ «إسرائيل ثانية» تدّعي العداوة للأولى وتريد محوها من الخريطة، لكنها تؤدّي الوظيفة والدور نفسيهما، بل تقوم بما هو أخطر إذ تحقق أحلام إسرائيل بتقسيم العالم العربي وتفكيكه دويلات وأقاليم مذهبية... العرب لم يكونوا في أحلك أيام هزائمهم أمام إسرائيل على هذا الانكشاف الاستراتيجي كما هم اليوم بفعل الاختراقات الإيرانية"^(١).

إذاً؛ "حزب الله" هو ذراع إيرانية يشكل ركناً من أركان الإستراتيجية الإيرانية التي لا يمكن نجاحها في لبنان والمنطقة العربية، لولا هذا الدور المهم الذي يؤديه هذا الحزب، بالإضافة للأحزاب والميلشيات التي أعدتها إيران وجهازها لأداء مثل هذا الدور في بلدان عربية أخرى.

(١) صحيفة الحياة اللندنية، الخميس ٩/ صفر/ ١٤٣٥هـ، ١٢/ ١٢/ ٢٠١٣ م.

ودليل آخر يُثبت ولاء " حزب الله " المطلق لإيران، وأن تأسيسه في لبنان إنما كان ليقوم بالدور المرسوم له من إيران، ويتمثل هذا الدليل فيما ذكره حسن نصر الله، إذ يتفاخر بأن أدبيات " حزب الله " ووثائقه تدل بصورة صريحة وواضحة أوضح من الشمس في وضوح النهار، بتبعيته الكاملة للولي الفقيه في إيران، ويقول في تسجيل له بالصوت والصورة ما نصه : " ومشروعنا الذي لا خيار لنا أن نتبنى غيره، كوننا مؤمنين عقائدين، هو مشروع الدولة الإسلامية وحكم الإسلام، وأن يكون لبنان ليس جمهورية إسلامية واحدة وإنما جزء من الجمهورية الإسلامية الكبرى التي يحكمها صاحب الزمان ونائبه في الحق، الولي الفقيه الإمام الخميني ... أنا واحد من هؤلاء الناس الذين يعملون في مسيرة حزب الله وفي أجهزته العاملة، لا أبقى لحظة واحدة في أجهزته لو لم يكن لدي يقين وقطع في أن هذه الأجهزة تتصل عبر مراتب إلى الولي الفقيه، القائد المبرئ للذمة الملزم قراره، بالنسبة لنا هذا أمر مقطوع ومطمئن به... ليس طبيعياً أن يقف آية الله كروبي ويقول نعم حزب الله هو جماعتنا في لبنان، سياسياً هذا ليس صحيح، وإعلامياً هذا ليس صحيح، على مستوى العلاقة العضوية والجوهرية مع قيادة الثورة الإسلامية وولاية الفقيه، هذه المسألة بالنسبة لنا مقطوع بها، وهذه المسيرة إنما نتحمي لها ونضحى فيها، ونعرض أنفسنا للخطر، لأننا واثقون ومطمئنون بأن هذا الدم يجري في عروقنا مجرى ولاية الفقيه " (١) .

(١) انظر: هذه التصريحات لحسن نصر الله في تسجيل حي بالصوت والصورة، بخصوص ولاية الفقه: <http://www.youtube.com>.

ويؤيد هذا التوجه ما ذكره الإيراني أسد إلهي حين اعتبر أن ولاء "حزب الله" لولاية الفقيه، وأن تبعيته لإيران هي الخصوصية الأساس له، فيقول: "الخصوصية الأساسية لحزب الله مقارنة بالمجموعات الإسلامية الأخرى في العالم، هي الإيمان المطلق بنظرية ولاية الفقيه وزعامة الإمام الخميني، وتسيطر هذه الخصوصية سيطرة كاملة على جميع القواعد التنظيمية وعلى آراء حزب الله" ^(١).

كما سبق عرضه عن "حزب الله" نخلص إلى النتائج الآتية:

١ - جمهورية إيران، دولة ذات مشروع صفوي توسعي عدواني ضد الأمة العربية والإسلامية، تسيطر عليها العقلية التوسعية، وتحلم بإعادة الإمبراطورية الفارسية، بالرغم مما تضع على وجهها من أقنعة إسلامية، وما ترفع من شعارات خادعة للتضليل وللتمويه على حقيقة توجهاتها التوسعية، ومن شعارات العدا للشیطان الأكبر أمريكا باسم المقاومة والممانعة، وتحت عناوين التحرير ونصرة القدس، والانتصار لفلسطين ومقدساتها .

٢ - يعد تأسيس "حزب الله" في لبنان جزءاً من الإستراتيجية الإيرانية باصطناع أذرع إقليمية في البلدان العربية والإسلامية، لخدمة مخططاتها وتحقيق أحلامها التوسعية في الهيمنة على العالم الإسلامي وتشيعه.

(١) أسد إلهي، مسعود، الإسلاميون في مجتمع تعددي، ترجمة: دلال عباس، الدار العربية للعلوم ومركز الاستشارات والبحوث، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

٣ - نجحت إيران باصطناع " حزب الله " بتكوينه الطائفي في لبنان، وأعدته وهيأته لاستخدامه كورقة فعالة في خدمة مصالحها، وفي لعبة التوازنات مع الدول الكبرى على الساحة اللبنانية والإقليمية .

٤ - أثبت تدخل إيران وذراعها الإقليمي " حزب الله " إلى جانب نظام أسد الطائفي ضد ثورة الشعب السوري، أن تأسيس " حزب الله " وإعداده عسكرياً، هدفه الأساس تكوين الهلال الشيعي وابتلاع المنطقة العربية.

سجل العار

فادي شامية

باحث لبناني وصحفي (جريدة المستقبل)

مستشار اعلامي لمركز أمية

صناعة الفتنة

ليس سهلاً أن ينجح " حزب الله " في إرسال شريحة واسعة من متفرّغيه ومتطوعيه (التعبئة) إلى جبهة قتاله الجديدة على الحدود مع سورية، ليس لأن في ذلك انقلاباً على أدبياته كلها، بما فيها أن سلاحه هو لحماية لبنان من العدو الإسرائيلي فقط، وإنما باعتبار حجم المخاطر التي يواجهها المقاتلون هناك أيضاً.

والواقع أن " حزب الله " يلجأ إلى تركيب شرعية للقتال إلى جانب النظام السوري على أسس دينية، من قبيل؛ قتال " الأمويين الجدد"، و" الدفاع عن شيعة آل البيت"، و" حماية مقام السيدة زينب"، و" حماية مناطق الشيعة من العصابات التكفيرية"... وهذا المعطى بالذات هو أخطر ما في تورّط " حزب الله" في الأتون السوري، سيما أنه جزء من دعاية مصدرها إيران نفسها، بدليل صدور مواقف إيرانية علنية في هذا السياق، وانتشار هذه الدعاية بالذات في مناطق شيعية في العراق (على سبيل المثال: تصريحات رئيس هيئة الأركان بالقوات المسلحة الإيرانية

حسن فيروز أبادي، وتصريحات الشيخ الإيراني المحافظ مهدي طائب...).

أكثر من ذلك؛ فقد صور عناصر الحزب في سورية ونشروا بأنفسهم ما يفضح هذه الروح المذهبية. المواد كثيرة، وهذه عينات منها:

▪ قصف القصير بالمدفعية الثقيلة على أساس أنهم بنو أمية

www.youtube.com/watch?v=TLysmx1c_Ms

▪ مفاخرة عناصر الحزب بدخولهم حي بابا عمرو وتحويله إلى بابا علي!

www.youtube.com/watch?v=FBYXQqRSazk

▪ ... ولطّمية "قدح من درعا الشرر" على أساس أن الثورة السورية ومن ثم القتال في سورية تمهيد لظهور المهدي

www.youtube.com/watch?v=ixDRBvyp0l

ويأتي "تشكيل لواء أبو الفضل العباس" (يضم نحو ١٥٠٠ مقاتل وفق صحف غربية) ترجمةً عملية لهذه الدعاية؛ إنَّ لجهة أهدافه، أو مناطق انتشاره (منطقة السيدة زينب أساساً)، أو لجهة المقاتلين متعددي الجنسيات الذين يضمهم (لبنانيون وعراقيون بشكل أساسي)، مع الإشارة إلى أن نشاط هذا اللواء لا يقتصر على الجانب العسكري، وإنما يتعداه إلى الجانب الإعلامي أيضاً، حيث ينشر بين الحين والآخر مقاطع مصورة عن عملياته القتالية، فيما يؤكد بيانه التأسيسي أن مهمته

الأساس: " حماية مقام مولاتنا وحببتنا السيدة زينب من هجمات التكفيريين والوهابيين وما يسمى بالجيش الحر وأعداء أهل بيت رسول الله!". ووفق معارضين سوريين فإن متطوعي لواء العباس يأتون من لبنان والعراق؛ بعضهم عبر المعابر البرية، والبعض الآخر عبر مطاري دمشق وبيروت (شُيِّع عدد من القتلى ممن ينتمي لهذا اللواء في العراق بصورة علنية في مناسبات عدة سابقة).

وفيما تتواصل حملات التطوع في هذا اللواء في لبنان والعراق، خطا " حزب الله" -العراق، و"عصائب أهل الحق" خطوة إضافية في إعلان تورطهما المباشر في الصراع الدائر في سورية عندما تبنت المجموعتان، في الخامس من شهر نيسان ٢٠١٣، أربعة قتلى قضوا في منطقة السيدة زينب، بينهم قائد ميداني اسمه: أرفد محسن الحميداوي، إضافة إلى ثلاثة آخرين هم: مهدي نزيه عباس، وكرار عبد الأمير الفتلاوي، وكرار عبد الأمير عزيز. اللافت أن الصور وشريط الفيديو الذي نُشر على الإنترنت أكد مقتل زميل خامس لهم هو اللبناني علي جمال جشي، وهو نفسه الذي شيعه " حزب الله" في بلدة جويا الجنوبية (٤/٤/٢٠١٣).

وإذ يواجه " حزب الله" معارضة متزايدة حالياً في مناطق نفوذه، استناداً إلى مواقف وفتاوى شخصيات شيعية تحالفه مقاربتة الملف السوري، أمثال الشيخ صبحي الطفيلي، والسيد علي فضل الله، والسيد علي الأمين... إلا أن لا شيء يدل على تراجعهم عن "دعاية الفتنة"، ولا عن القتال في سورية.

شهود زور على بحور الدماء السورية

لقد بات واضحاً اليوم أن "حزب الله" يقاتل في سورية، ليس في محافظة حمص وحسب، وإنما في دمشق وريفها وعلى مساحة الجغرافيا السورية.

في ١١/١٠/٢٠١٢ أقر أمين عام "حزب الله" بشطر من هذه الحقيقة - بصيغة مخففة - بقوله: "هؤلاء - الذين في ريف القصير- لبنانيون منذ أكثر من ١٥٠ سنة... وبينهم متفرغون في الحزب... وقد قرروا الدفاع عن أنفسهم وعن أرواحهم وعن أعراضهم وعن أملاكهم".

والواقع أن نصر الله لم يكن قادراً على مزيد من التجاهل أو النفي بعد مقتل وتشيع أحد مسؤولي الحزب في البقاع حسين ناصيف المعروف بأبي العباس (٢٠١٢/٩/٣٠)، فأقر بشيء من الحقيقة، مع أن في ذلك إحراجاً له ولقيادات كثيرة في الحزب؛ ظلت تنفي أي مشاركة قتالية في سورية؛ أياماً قليلة قبل التاريخ المذكور.

ومع اعتراف "حزب الله" علناً بالمشاركة في القتال في سورية في منطقتين على الأقل: ريف القصير "دفاعاً عن اللبنانيين الشيعة في مواجهة التكفيريين"، ودمشق وريفها "دفاعاً عن المقامات الشيعية هناك"؛ يبدو أن كل نفي صدر قبل ذلك عن مشاركة الحزب القتالية لم يكن إلا شهادة زور حول بحر الدماء السورية.

والحقيقة أن تورط الحزب في الدم السوري كان واقعاً ملموساً منذ الأيام الأولى للثورة؛ وعلى أقل تقدير منذ أن تحولت الثورة عن طابعها السلمي الذي حافظت عليه أشهراً قبل أن يبدأ حمل السلاح. منذ ذلك الحين وحتى أمس القريب صدرت مواقف لا تكاد تحصى؛ تنفي كلها هذه الحقيقة.

قبل الإقرار الأول من قبل نصر الله بالتورط بالدم السوري (١١/١٠/٢٠١٢)، وقبل التبري اللاحق للمقاتلين الأحياء والأموات، قال نصر الله: "من حق هؤلاء أن يدافعوا عن أنفسهم وعن ممتلكاتهم وعن وجودهم، وهذا عليه إجماع العقلاء، ومن قُتل في هذا السبيل فهو شهيد"، فقد كانت مواقف نصر الله ترسم سقفاً من الإنكار التزمت به قيادات الحزب كلها (٢٧/٢/٢٠١٣).

وللتذكير فقد استهزأ نصر الله في ٧/٢/٢٠١٢ بالاتهامات الموجهة لحزبه بالتورط بالدم السوري، قائلاً: "فليدلنا أحد على هذه الجثث (التي سقطت في المعارك)" وذلك في الخطاب نفسه الذي قال فيه: "بعد التدقيق تبين أن لا شيء في حمص" في الوقت الذي كانت فيه دماء أهلها لم تجف بعد من المجزرة المريعة التي ارتكبت فيها (ليل ٤/٢/٢٠١٣) وذهب ضحيتها ٢١٧ سورياً غالبيتهم الساحقة من حي الخالدية.

في ١٦/٢/٢٠١٢ نقل نصر الله الاتهامات الموجهة إلى حزبه نحو خصومه فقال: "لماذا لا تقفون على الحياد؟ هذه المشاركة الميدانية أُلن ترك أثرها على العلاقات بين البلدين؟!".

أما في ٣/١/٢٠١٣ فعاد إلى سياسة الإنكار بقوله: "هناك منهجان حيال الأزمة السورية؛ الأول تجنب التدخل والآخر نقل المعركة إلى لبنان. النظام ليس بحاجة لا إلينا ولا إلى أحد أن يقاتل إلى جانبه، وذلك ليس من مصلحته، ونحن لم نأخذ بعد هكذا قرار وهذا غير موجود حتى هذه اللحظة... من اليوم الأول هناك أطراف في المعارضة السورية يتحدثون عن إرسالنا مقاتلين إلى سورية وهذا كذب ولا يزال كذبا!".

وإذا كانت مراجعة مواقف رأس الهرم في "حزب الله" تظهر شيئاً من الاضطراب، وكثيراً من فقدان المصداقية، فإن متابعة أقوال نائبه الشيخ نعيم قاسم تظهر إمعاناً كبيراً في تزوير الحقائق.

في ١٥/٤/٢٠١٢ لفت قاسم إلى "وجود محاولات اليوم في لبنان لإثارة قضايا هامشية كوجود مقاتلين للحزب في سوريا"، مؤكداً أن "سورية لا تحتاج إلى عناصر أو قوات من حزب الله فلديها شعب وإدارة قويان، وكل ما يقولونه ليس صحيحاً".

وفي ٦/١٠/٢٠١٢ قال قاسم: "إن حزب الله حريص على عدم زج لبنان في الأزمة، فهو يحتاج لأن يكون بعيداً، من أن يكون منصة ضد سورية"، أسفاً لسياسة "تيار المستقبل" التي تقوم على "إيواء المسلحين في لبنان، وتسهيل تهريب السلاح من لبنان إلى سورية، ودفع الأموال للمسلحين هناك"! لكن قاسم عاد ليقول في ١٢/٣/٢٠١٣: "إن حزب الله لا يخفي وقوفه إلى جانب الرئيس السوري، لكنه لا يتدخل في سورية!".

في ١٠/٣/٢٠١٣ قدّم قاسم مطالعة عجيبة (حوار مع صحيفة الأنباء الكويتية)، قال فيها: "إن ما رأيناه في سورية أن الاعتراض على أخطاء نظام وعلى منعه لبعض الحقوق للناس، تحوّل بشكل سريع جداً وخلال الأيام الأولى إلى عمل عسكري في مواجهة النظام مدعوم بهذه المنظومة الدولية"، شاطباً بذلك وقائع لا تكاد تُحصى عن سلمية الثورة السورية، وخذلانها من العالم أشهراً طويلة قبل أن تتحول إلى ثورة مسلحة.

أضاف قاسم: "موقف حزب الله منطلق من مساندة النظام السوري كجزء من الموقع المقاوم... وقد رأينا عودة للسوريين في الأيام الأخيرة بسبب اطمئنانهم إلى أن أماكن سكنهم مأمونة"، ورغم أن ذلك كله لا يشبه الحقيقة، فإن التزوير الكامل تمثّل بقوله: "هؤلاء تعرضوا في منطقة القصير ومحيطها إلى هجمات وضغوطات غير عادية... عندها وجدنا من واجبنا كحزب الله أن نساعد هؤلاء لكي يحموا قراهم وبلداتهم، كي يبقوا فيها من ناحية، وكي لا يهجروا إلى لبنان من ناحية أخرى. هذا استلزم أن نساعدهم بالتدريب والتسليح والمساعدة، وهذا ما فعلناه وأعلنناه أمام الرأي العام، ونحن لا نعتبر أن هذا الأمر تدخل في الشأن السوري"، وفي ذلك تحريف في موضوعين على الأقل؛ قلب الأدوار بين الضحية والجلاد في القصير، والتخفي وراء عائلات لبنانية يقول إنها تقاتل هناك، مع أن مواكب التشيع تجري في لبنان.

ما يسري على نصر الله وقاسم يسري أيضاً على قادة آخرين في الحزب. وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ نائب رئيس المجلس التنفيذي للحزب الشيخ نبيل قاووق، الذي أعلن مجزم ووضوح في ٢٨/٥/٢٠١٢ أن "حزب الله لم ولن يقاتل في سوريا"، وهو نفسه عاد ليقول في ١٥/١٠/٢٠١٢ "إن التورط في هذا الأمر خطير، وأخطر ما فيه أن الفرقاء في ١٤ آذار تورطوا بدماء الشعب السوري"!، لكن قاووق - وخلافاً لمواقفه السابقة كلها- قال في ٢٢/٤/٢٠١٣، في ذكرى أسبوع مقتل أحد عناصر الحزب في سورية (عباس ريجان): "إن شهداء حزب الله (في سورية) هم شهداء كل الوطن لأنهم كانوا يدافعون عن أهلهم اللبنانيين... كل لبناني يستشهد في الدفاع عن أهله اللبنانيين هو شهيد كل لبنان وشهيد كل الوطن... يجب الكف عن الإساءة لهؤلاء الشهداء الذين هم شهداء كل الوطن!"

ما يثير العجب أيضاً موقف أصدره النائب عن "حزب الله" علي فياض في ١٨/٤/٢٠١٢ دعا فيه الدولة للتحرك ضد سياسيين وصحافيين دعوا إلى تسليح الداخل السوري، معتبراً أن "عدم تحرك الحكومة يطيح بأهم مرتكزات اتفاق الطائف". بذلك اعتبر فياض الدعوة للتسليح أو التسليح الفعلي للثوار- إن صح- إطاحة باتفاق الطائف، ما يعني أن القتال الفعلي - الذي يقوم به "حزب الله" راهناً- هو نفس - من باب أولى- لاتفاق الطائف.

على النهج ذاته سار نواب آخرون عن الحزب. محمد فنيش -على سبيل المثال- لم يخجل في القول "إن حزب الله لا يتدخل بأي شأن داخلي سوري مهما قيل من اتهامات وافتراءات" (٦/١٠/٢٠١٢)، وذلك بعد أسبوع واحد فقط على تشييع الحزب للقائد حسين ناصيف في بعلبك. كما لم يخجل من قبله مسؤول العلاقات الدولية في الحزب عمار الموسوي من مهاجمة "بعض القوى المحلية التي تصر على زج لبنان في قلب الأزمة، من خلال إيواء المقاتلين، وتوريد المال والسلاح إلى داخل سورية، وهذا من شأنه أن ينعكس على الاستقرار، وأن يشكل تهديداً جدياً للأمن في لبنان" !.

الطريف وسط هذا المشهد المكرب؛ إصرار وزير خارجية لبنان على نفي التهم عن "حزب الله"، رغم إقرار الحزب نفسه، وتشيعه العشرات من قتلاه في لبنان. عدنان منصور بهدوء عجيب قال في ٢٧-٢-٢٠١٣: "لا صحة لما يتم تداوله عن وجود مقاتلين لحزب الله داخل سورية. هناك قرى لبنانية وسكانها لبنانيون موجودون داخل الأراضي السورية، وما حصل هو دفاع عن النفس من قبل هؤلاء" !

التكفيريون؛ عدو "حزب الله" الجديد !

يصرف "حزب الله" اليوم جهداً لافتاً لتعبئة شارعهم ضد عدوه الجديد؛ التكفيريين. بهذه العداوة يسوق مبررات زج الشباب الشيعي في أتون القتال في سورية. وبسببها يتجاوز الدولة في لبنان ويفتح على

حسابه أمناً ذاتياً (لم ينته إلى اليوم). ومن خلالها يهدر دم المخالفين، أينما كانوا ومهما قالوا... عدو " حزب الله " الجديد يستحق أن يُدرس؛ فآثار الحرب عليه لا تقتصر على من يخوضها، وإنما على لبنان والإقليم بأسره!

من يعني "حزب الله" بالتكفيريين؟ كيف يصنفهم؟ وكيف يتعامل معهم؟

بطبيعة الحال ليس المقصود بالتكفيريين أتباع دين معين يعتقدون أنه الحق، وما عداه اعتقاد باطل؛ فكل ملة تعتر بمعتقداتها وترى أنه الصواب وما عداه مرفوض يُكنى عنه ديانةً بالكفر. يسري هذا الأمر على اليهودية والمسيحية والإسلام والديانات كافة... إنما المقصود بالتكفير نزع الإيمان عن فرد أو جماعة من الدين نفسه، وهذا الأمر خطير جداً؛ ففي الإسلام اعتبار المسلم كافراً كقتله تماماً، ولهذا السبب فقد اعتبر الفقهاء المسلمون أن "التكفير في الدين هو حكم شرعي لا يصدر إلا عن قاضٍ ذي صفة"، وعلى القاضي أن يتبين ويبين حقيقة الفعل أو القول، ويراجع المعنى بالأمر ألف مرة قبل أن يعتبره كافراً.

وعليه؛ فإن التكفيري هو من يستسهل اعتبار فرد أو جماعة من المسلمين كفاراً، وهذا الأمر موجود للأسف، وله مستندات في متون الكتب ولدى علماء معاصرين من السنة والشيعة. يسري هذا الأمر على جماعات سنية متشددة، كما يسري على "حزب الله" نفسه، والتكفير لدى هذا الحزب بالذات غير مقتصر على تكفير أفراد أو جماعات معاصرة، وإنما على تكفير أعلام وطوائف غابرة!

وإذا؛ ليس هذا هو مقصود " حزب الله " بالتكفيريين. المقصود هو المعنى السياسي للمصطلح، بدليل أن للحزب علاقات وطيدة مع إسلاميين لا تختلف عقيدتهم عن الإسلاميين الآخرين الذين يعتبرهم الحزب تكفيريين، سوى أن هؤلاء (الذين لا يعتبرهم تكفيريين) يناصرون المشروع السياسي للحزب. وأكثر من ذلك؛ فقد شهدنا في الآونة الأخيرة أن الحزب يدافع عن إسلاميين متورطين بجرائم إرهابية موصوفة، كما في تفجير المسجدين في طرابلس، ويعتبرهم مقاومين، فيما يعتبر خصومهم، مجرد عدائهم له، تكفيريين!

نستنتج مما سبق أن التكفيريين وفق " حزب الله " هم؛ الإسلاميون السنة الذين يناصبون مشروع " حزب الله " العدا. ثمة فئات فاضحة في هذا المجال. على سبيل المثال لا الحصر، أضاف " حزب الله " إلى لائحة التكفيريين " بعض " رموز وقيادات " الإخوان المسلمين " (العلامة القرضاوي مثلاً)، فيما التعبئة في قواعده حامية على " الإخوان المسلمين " جميعهم؛ قيادات وأفراداً وتنظيمات. هذه الفئة من المسلمين كانت للأمس القريب على علاقة جيدة بالحزب ولم تكن تكفيرية بنظره، لكنها أصبحت كذلك مؤخراً، لدرجة أن إحدى الصحف القريبة جداً من الحزب لم تتورع عن شتم أحد قيادات " حماس " ووصفه بالتكفيري، لأنه رد بمقال على حملة هذه الصحيفة على موقف حماس مما يجري في سورية!

في إطار حملته على التكفيريين لم يعد الحزب يتورع في تسمية عدوه؛ الوهابية (التيار الديني الحاكم في المملكة العربية السعودية)، والسلفية (دون تمييز بين السلفية الجهادية والسلفية العلمية)، والأسيرية (يقصد فيها أنصار الشيخ أحمد الأسير)، و"الإخوان المسلمين"، وهؤلاء جميعهم يشكلون السواد الأعظم من الإسلاميين في لبنان (فضلاً عن اعتبار الحزب الثوار السوريين تكفيريين دون تمييز بينهم). إعلام الحزب وناطقوه وجدران كثير من الشوارع في مناطق نفوذه تحبر عن حجم التعبئة التي تكاد تفجر لبنان والمنطقة، باعتبار أن جرم اعتبار المسلم تكفيرياً لا تقل عن جرم اتباع النهج التكفيري نفسه، وفي الإسلام: من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما؛ إما أن يكون الموصوف بالكفر كافراً فعلاً عند الله، وإما أن يكون من نعتة بذلك مفترياً وبالتالي هو بحكم الكافر عند الله!

يتضح مما سبق أن وصف الخصم بالتكفيري لدى الحزب -أو على الأقل إعلان ذلك- أمر يرتبط بالسياسة أولاً، ولعل توتر العلاقات بشدة مؤخراً بين الحزب ورعاته الإقليميين مع المملكة العربية السعودية، وإدانة السواد الأعظم من المسلمين تدخل الحزب العسكري في سورية، وحاجة الحزب إلى تخويف الأقليات الدينية من الإسلاميين السنة، وإيراد مبررات لتسوية مشاركته في القتال إلى جانب نظام الأسد... كل ذلك شكّل أسباباً دافعة لإطلاق الحملة على التكفيريين كعدو أول للحزب هذه الأيام؛ وإلا فإن أمين عام الحزب نفسه وفي أعنى الهجمات

على الشيعة في العراق كان يتجنب مهاجمة "التكفيريين"، بل إن قيادات بارزة في الحزب كانت على علاقة مباشرة أو غير مباشرة بقيادات في "القاعدة"، ومعلوم أن إيران نفسها احتضنت في فترة معينة قيادات "القاعدة"، وأن نظام بشار الأسد الحليف للحزب سهّل وصول "التكفيريين" إلى العراق، ما دفع حكومة نوري المالكي (الحليف للحزب أيضاً) في العام ٢٠٠٩ للمطالبة "بمحاكمة النظام السوري في محكمة دولية ومعاقبته على دعمه للإرهاب" (حديث وزير خارجية العراق هوشيار زيباري لغسان شربل في الحياة- ١٤/١١/٢٠١٣).

وللأسف الشديد، فإنه في الوقت الذي يعلن فيه حسن نصر الله أن "إسرائيل سعيدة اليوم بما يجري في عالمنا العربي والإسلامي من تقاتل وصراعات قائمة بين الدول وفي داخل كل مجتمع"، فإنه - من حيث يدري أو لا يدري - يقدم هذه السعادة للعدو الإسرائيلي، لأن تعبئته المذهبية تحت شعار "الحرب على التكفيريين" لا تعني إلا حرباً مذهبية طويلة وشنيعة، لن تقتصر على سورية ولبنان، والأنكى أنها بدأت تأخذ غير المسلمين في طريقها، باعتبار أن التعبئة على التكفيريين - وفق تصنيف "حزب الله" السابق شرحه - تتضمن شقاً هاماً؛ وهو أن هؤلاء أعداء لبقية الأديان، وتالياً فإن تجنيد المسيحيين - على سبيل المثال - ضد الإسلاميين السنة (أعداء الحزب)، سوف يمد ألسنة النار إليهم، باعتبارهم صاروا جزءاً من هذه الحرب المذهبية.

معادلة أمن "إسرائيل" من أمن سورية: أعلنها مخلوف وتبناها نصر الله

من المعلوم لكل العاقلين أن الأقوال لا تعبر بالضرورة عن الأفعال، وأن إطراء النفس لا يعكس على وجه اليقين حقيقتها، وأن كُنه الأشياء لا يتغير بالكلام المنمق، وأنه لو كان الأمر خلاف ذلك لكان الثرثارون والكاذبون قبلة الناس وقدوتها.

ما سبق من مبادئ معلومة؛ ينطبق على ما ورد على لسان حسن نصر الله فيما خص خطابه في ٩/٥/٢٠١٣، وبالأخص المقدمة الطويلة عن الصدق والأمانة الإعلامية، في معرض الحديث عن ذكرى تأسيس إذاعة النور التابعة للحزب، إذ المعلوم أن إعلام الحزب عموماً على جفاء واضح مع كثير من المبادئ المهنية، بما في ذلك الصدق، وإن شئنا الاحتياط؛ فإن حال هذا الإعلام كحال كثير من وسائل الإعلام اللبنانية الأخرى التي تخدم مشروعها السياسي، وينطبق عليها -قبل غيرها- التوصيفات التي أطلقها نصر الله عن الإعلام الراهن؛ "عدم مصداقية، كذب، تزوير، تضليل، افتراء الوقائع" (على سبيل المثال لا الحصر وفي القضية السورية فقط: زعمت المنار في بدايات الثورة السورية أن أهالي حمص يحرقون الإطارات على الأسطح لإيهام الإعلام أن المدينة تُقصف، وزعمت لاحقاً أن غارة على دمشق استهدفت موقعاً "لتربية الدواجن محاطاً بمصانع للإسمنت والشاي"؛ فضلاً عن استضافة الشتامين والبذيين على شاشتها بصورة دورية، وقد تورطت إذاعة النور من قبل في التحريض على أهالي تلكلخ بدعوى أن البلدة معقل التكفيريين ما تسبب بتدميرها).

غير أن الموضوع الأهم لا يتعلق بوسائل إعلام الحزب، وإنما في إسقاط نصر الله المبادئ نفسها؛ الصدق والمقاومة-التي ألحقها بإعلامه- على قضية بالغة الحساسية؛ وهي دعم حزبه للنظام السوري الجائر. انطلق نصر الله من اعتباره العدو الإسرائيلي يريد "إخراج سورية من معادلة الصراع مع العدو الإسرائيلي"، وبما أن الهدف إستراتيجي، فإن الرد -وفق نصر الله- سيكون إستراتيجياً أيضاً، لا مجرد رمي بضعة صواريخ سورية على فلسطين المحتلة رداً على الغارة الأخيرة. ولهذا الرد، وفق نصر الله، ثلاثة عناوين:

١ - "النظام السوري سيعطي حزب الله سلاحاً نوعياً لم يحصل عليه من قبل".

٢ - "إعلان فتح الباب للمقاومة الشعبية في جبهة الجولان".

٣ - جيش النظام "جهّز منصات صواريخ ووجهها باتجاه أهداف في فلسطين".

والواقع أن ما أسماه نصر الله رداً إستراتيجياً؛ يشمل تعليقات جوهرية:

أولاً: بإعلان نصر الله "أننا مستعدون لأن نستلم أي سلاح نوعي ولو كان كاسراً للتوازن، ومستعدون أن نحافظ على هذا السلاح"، يكون أقحم لبنان في تحديات خطيرة للغاية، سواء في الصراع مع العدو الإسرائيلي أو في ربط البلد بالصراعات الإقليمية، ذلك أن نصر الله

يعلم يقيناً حجم الخلاف الوطني حول سلاحه، لجهة أصل جهة امتلاكه وتالياً قرار تحريكه لخدمة أهداف مُختلف عليها، فبدلاً من تهذئة المخاوف المتعلقة بهذا السلاح؛ هرب نصر الله إلى الأمام وأعلن عن استقدام سلاح كاسر للتوازن، ما يعني أنه مصر على الاستهتار بمخالفه -وهم نصف الشعب اللبناني أو أكثر-، في أمر غاية في الخطورة، وقد يؤثر على مستقبل اللبنانيين لأجيال لاحقة (حرب بالغة التدمير مع العدو الإسرائيلي) في الوقت الذي يرفض فيه -في الخطاب نفسه- تشكيل حكومة لا ثلثاً مُعطلاً له فيها، لأن ذلك تهميش و "شراكة غير حقيقية" ! يعني ذلك أن وزيراً بالناقص ينقض الشراكة الوطنية، أما التغاضي عن موقف مخالف من موضوع السلاح فلا ينقض الشراكة، بل هو مفخرة لمن يتبناه، والمخالف خائن!، علماً أن الموضوع المثير للفرقة ليس حاجة لبنان لسلاح يحميه من العدو الإسرائيلي، ولكن تصرف الحزب على أنه هو الجهة المخولة بحماية البلد، وكأن الدولة غير موجودة، وباقي اللبنانيين ليسوا مواطنين؛ لهم رأيهم في كيفية حماية بلدهم.

ثانياً: لا يلغي قرار فتح جبهة الجولان خزي أن الجبهة كانت مقفلة طيلة أربعين عاماً، وأن كل من حاول المقاومة فيها من السوريين حوكم بتهمة الإرهاب، (كتب الرئيس السابق للموساد أفرايم هاليفي في مجلة "فورين أفيرز" الأميركية: "إن بشار الأسد هو رجل تل أبيب في دمشق، وإن إسرائيل تضع في اعتبارها منذ بدأت أحداث الثورة

السورية أن هذا الرجل ووالده تمكنا من الحفاظ على الهدوء على جبهة الجولان طيلة ٤٠ سنة"، لكن الأكثر أهمية، أن قراراً كهذا ما كان يجب أن يعلنه نصر الله باسم الدولة السورية، وإنما يجب ذلك على بشار الأسد نفسه، وأن المقاومة يجب أن تكون سورية، لا لبنانية، وأن إقحام الحزب نفسه في الموضوع لجهة المساعدة العسكرية-من باب رد الجميل للنظام السوري على دعم المقاومة في لبنان- أمر يجب أن يحظى بتوافق وطني، وهو ما لم يحصل... ببساطة؛ لأن السيد حسن نصر الله لا يعتبر أن موقف مخالف فيه ذو بال أصلاً.

اللافت في هذا الموضوع أن نصر الله أقر خلافاً لقيادته الإيرانية - التي تروج لانتصار الأسد وانتهاء "المؤامرة" - أن نظام الأسد بات ضعيفاً لدرجة لم يعد قادراً على الإمساك بالبلاد، بالقدر نفسه الذي أقر فيه بأن المقاومة - أي مقاومة - لا تنشأ إلا على جثة الدولة. قال نصر الله: "في لبنان يوجد هامش للمقاومة لأن العالم يعتبر أن الدولة المركزية ضعيفة... بالحرب التي فرضتموها على سورية تم تحويل التهديد (ضعف الدولة) إلى فرصة (إطلاق مقاومة)... فإلى المقاومة الشعبية في الجولان". ولا يخفى أن العلاقة التنافرية بين قوة الدولة ووجود المقاومة هي القاعدة التي يجادل "حزب الله" منذ مدة لرفضها، بدعوى ثلاثية "الجيش والشعب والمقاومة".

ثالثاً: لا يدعو للارتياح أبداً أن تقصف طائرات العدو أرضاً عربية - ولو أن المقصوفين أشد إجراماً من القاصفين - إذ الموقف الثابت

من أي حالة مشابهة هو الإدانة الفورية، لكن الواقع أن "إسرائيل" قصفت السلاح الذي تخشى من تسريه -بقرار من النظام أو رغماً عنه- إلى جماعات معادية؛ "حزب الله" والجماعات المسلحة. يسري هذا المبدأ على الغارات كلها التي استهدفت فيها "إسرائيل" منشآت نووية أو سلاحاً حساساً. هذا يعني أن "إسرائيل" لم تكن تخشى من وجود هذا السلاح إلا عندما أصبح وجوده في حوزة النظام السوري مهدداً!، علماً أن الغارات الأخيرة على سورية ليست الأولى وربما لن تكون الأخيرة، ما يدعو للتساؤل: لماذا لم تُطلق الصواريخ تجاه الطائرات أو تجاه أرض العدو؟ وما الذي دفع اليوم للتخلي عن شعار "الاحتفاظ بالرد في المكان والزمان المناسبين". لم يتغير شيء سوى أن النظام السوري بات في خطر.

وعلى أي حال؛ -وخلافاً لما أعلنه نصر الله أن إسرائيل ارتبكت من تهديد النظام السوري لها- فإن التطمين الإسرائيلي للنظام كان واضحاً وعلنياً: "إسرائيل مصممة على البقاء محايمة في الحرب الأهلية السورية"، وإن الغارات الأخيرة لا تعني إلا رفض السماح بانتقال أسلحة أو تفلتها من أيدي النظام. هذه بلغت لبشار الأسد مباشرة، والإعلام الإسرائيلي نقل ذلك عن أكثر من مصدر.

ما سبق كله يؤكد أن؛ مد "حزب الله" بسلاح غير تقليدي، وفتح جبهة الجولان، والتهديد بالرد على العدو الإسرائيلي، يؤكد معادلة النظام السوري المعتمدة منذ أربعين سنة: "أمن إسرائيل (تحديداً من

جبهة الجولان) من أمن سورية"، وأن اتفاقاً غير مكتوب يقضي بتمتع جبهة الجولان بهدوء تام ما لم يتهدد النظام السوري بخطر وجودي، وتحت هذا السقف يمكن المشاغبة؛ دعم "حزب الله"، وتصدير "التكفيريين"، وإعلان الممانعة... وعليه؛ فقد اقتضى تذكير العالم كله بهذه المعادلة بداية الثورة السورية على لسان ابن خال الرئيس رامي مخلوف (نيويورك تايمز - ١٠/٥/٢٠١١) من أنه "لن يكون هناك استقرار في إسرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سورية... لا تدعونا نعاني، لا تضعوا الكثير من الضغوط على الرئيس، لا تدفعوا سورية إلى فعل شيء لن تكون سعيدة بفعله". وقد أتبع ذلك تحريك محدود لجبهة الجولان من خلال دفع مجموعات فلسطينية للتظاهر هناك.

ويعتبر كلام نصر الله الأخير تبنياً فعلياً لهذه المعادلة - فيما لو قُدر أن تقوم مقاومة حقيقية في الجولان - على اعتبار أن النظام السوري يدرك أن "إسرائيل" باتت تستعجل نهايته، للسبب نفسه الذي جعلها تتمسك به - وبأبيه من قبل -، وهو حماية جبهة الجولان، الأمر الذي لم يعد قادراً بشار الأسد على توفيره لأن تأخر انتصار الثورة السورية يقوي الجماعات الإسلامية المسلحة، التي ستشكل لاحقاً أكبر تهديد لجبهة الجولان.

الإثارة في الموضوع هي ما جرى بعد ذلك؛ ففي ٣٠/١٠/٢٠١٣ نفذ العدو الإسرائيلي غارة جديدة على موقع سوري فيه صواريخ مضادة للطيران كان ينوي النظام نقلها إلى "حزب الله"، أو أنها كانت

في طريقها إليه. تكتمت "إسرائيل" هذه المرة عن الغارة (الخامسة من نوعها في العام ٢٠١٣)، إلى أن تسرب الخبر من خلال الولايات المتحدة (CNN). صحيفة "يديعوت أحرونوت" أقرت بالغارة، ونقلت عن القيادة الإسرائيلية أن تسريب الخبر لم يكن مفيداً.

في ٣/١١/٢٠١٣ نقلت صحيفة الرأي الكويتية نقلاً عن قياديين في "حزب الله" أنه "في المنطق العسكري هناك عشرات الجبهات الداخلية المشتعلة، والأولوية لمقاتلة القوى التي أدخلت الوضع في دائرة الخطر... وإن خط الممانعة يحتفظ بتوقيته هو في الرد وليس بالتوقيت الإسرائيلي، ما دامت الضربة الإسرائيلية لم تستهدف رأس النظام وعقله وأدواته!"

توالت الغارات، وليل الاثنين ٢٦/٢/٢٠١٤ شنت طائرات العدو الإسرائيلي الغارة السابعة (من ١٥/٣/٢٠١١ ولغاية مساء الاثنين ٢٤/٢/٢٠١٤). هذه المرة جاء الهدف على الحدود اللبنانية-السورية، وقد طالت الغارة - وفق أرجح الروايات- هدفين لـ "حزب الله" دفعة واحدة، أحدهما متحرك في منطقة وعرة بين بلدة النبي شيث اللبنانية وبلدة سرغايا السورية. وقد بدا الارتباك -الذي سببته الغارة- واضحاً في مواقف "حزب الله" على وجه التحديد.

انتشار "حزب الله" في سورية

لا يقتصر انتشار "حزب الله" على مدة زمنية قريبة، ولا على بقعة جغرافية متاخمة للحدود مع لبنان. تورط الحزب في الدم السوري سبق الإقرار به بنحو عامين. في ٢٠/٣/٢٠١١ أصدر "ائتلاف شباب الثورة في سورية" (بعد خمسة أيام على اندلاع ثورة الكرامة السورية) بياناً اتهموا فيه الحزب بالمشاركة في أعمال القمع، تبع ذلك بيان مشابه لطلاب جامعة دمشق في شهر نيسان ٢٠١١، ثم جاءت شهادة الجندي المنشق والفار إلى تركيا أحمد خلف في ١٢/٦/٢٠١١، ثم شهادة قائد "الجيش الحر" حسين هرموش في ١٤/٦/٢٠١١، فشهادة أول جندي منشق في الحرس الجمهوري وليد القشعمي في ٢١/٧/٢٠١١.

شهدت دمشق ودرعا أول ظهور لعناصر "حزب الله" كـ "شبيحة" مع النظام السوري، وفيما بعد "تخصص" الحزب في منطقة حمص، وتحديدًا في ريف القصير؛ مستفيداً من متاخمتها للحدود مع لبنان، ومن وجود قرى شيعية في المنطقة.

وتعتبر دمشق وريفها المنطقة الثانية حالياً من حيث انتشار الحزب بعد منطقة القصير، وثمة مناطق محددة يقاتل فيها عناصر الحزب والحرس الثوري الإيراني والمتطوعون العراقيون وغيرهم ممن يقاتل إلى جانب النظام السوري.

وكانت الزبداني شهدت أول حديث عن تدخل عسكري لـ "حزب الله"، أثناء الحملة الكبرى التي قام بها النظام السوري على

المدينة في ١٣/١/٢٠١٢، حيث أقر مسؤول في الحرس الثوري الإيراني بعد أيام من هذه الحملة (قناة العربية) بتدخل " حزب الله " عن طريق سرغايا لمساندة قاعدة عسكرية تابعة للحرس الثوري في بلدة مضايا تعرضت لهجوم، بالتزامن مع حديث الثوار في الزبداني عن مشاركة ميدانية للحزب في مهاجمة المدينة.

وينتشر " حزب الله " راهناً في مناطق عدة في دمشق:

- أولى وأهم هذه المناطق، التي تشهد حشداً كبيراً من مقاتلي " حزب الله " ولواء أبي الفضل العباس (لواء مختلط الجنسيات يضم شيعة بهدف الدفاع عن مقام السيدة زينب لثلاث "تُسبى مرتين") منطقة السيدة زينب. وفي الواقع فإن عمليات المقاتلين في هذه المنطقة لا تقتصر على الجانب الدفاعي عن المقام، وإنما تمتد هجومياً إلى أحياء أخرى مجاورة؛ الحجر الأسود، والقدم، والميدان، والتضامن، وصولاً إلى المزة، فضلاً عن مخيمي اليرموك وسبيئة. ثمة أشربة كثيرة يبثها الجهاز الإعلامي للواء أبي الفضل العباس عن عملياته في المنطقة المذكورة؛ تُظهر مقاتلين بالمئات في شوارع دمشق، كما أن مواقع التواصل الاجتماعي تبث على مدار الساعة أخبار المعارك وصور " الشهداء " وقتلى " الأعداء " .

- ثاني المناطق الإستراتيجية التي تشهد انتشاراً لعناصر " حزب الله " والحرس الثوري الإيراني؛ مطار دمشق الدولي ومحيطه، وهي منطقة تمتد شرقاً باتجاه الغوطة الشرقية، وقد سبق للثوار أن استهدفوها

واقترحوا مخيماً لتدريب المقاتلين فيها؛ وُجدت فيه أسماء آلاف المتدربين من "حزب الله" (مخيم فتيّة الإمام المهدي في ٩/١٢/٢٠١٢ وفيه اسم ١٠٨٧٠ متدرباً)، كما أظهرت أفلام على الإنترنت وثائق متعددة عُثر عليها بعد اقتحام "لواء الإسلام" لمقر الرصد الجوي في الغوطة (١٣/١/٢٠١٣)؛ تؤكد تورط الحرس الثوري الإيراني و"حزب الله" في القتال إلى جانب النظام، وهي المنطقة نفسها التي أسر فيها الثوار ٤٨ إيرانياً (٤/٨/٢٠١٢) وبادلوهم لاحقاً بأسرى لهم مع النظام السوري.

- ثالث أهم المناطق التي يقاتل فيها "حزب الله" ولواء أبي الفضل العباس بشراسة في محافظة دمشق؛ مدينة داريا (أكبر مدن الغوطة الغربية نحو ١٥٠ ألف نسمة). المدينة ما تزال صامدة على نحو عجيب، رغم كثرة المجازر التي ارتكبت فيها (أشهرها وقع في آب من العام الماضي - ٣٠٠ شهيد)، وقد عجز جيش النظام السوري وحلفائه عن اقتحامها مرة تلو أخرى، لكن الحصار مطبق على المدينة، وقد باتت مدمرة تقريباً. وإضافة إلى موقعها الاستراتيجي قريباً من قلب العاصمة، فإن لـ "حزب الله" والمقاتلين الشيعة دافعاً خاصاً في القتال في داريا، لوجود مقام السيدة سكينة فيها، وقد سقط للحزب أكثر من قتيل في المنطقة المذكورة، لا سيما المجموعة في ٨/٤/٢٠١٣.

- رابع أهم الأماكن التي يقاتل فيها "حزب الله" والحرس الثوري الإيراني؛ منطقة جوبر- العباسيين وسط العاصمة دمشق، وهي منطقة تشهد مؤخراً مواجهات شديدة مع اقتراب الثوار من العاصمة. سقط

للحزب في هذه المنطقة عدد كبير من القتلى في شهر شباط ٢٠١٣ عند محاولة الثوار السيطرة على الحي المذكور، وبحسب مصادر عسكرية فإن قوات النظام، مدعومة من "حزب الله" تحاول الالتفاف على تقدم الثوار باتجاه ساحة العباسيين، من العتبية والعبادة.

- أما خامس أهم الأماكن التي يستهدفها "حزب الله" فتقع شمال غرب دمشق؛ وهي منطقة جبال القلمون. تمتد منطقة جبال القلمون بمحاذاة سلسلة جبال لبنان الشرقية من عرسال حتى زحلة، وتضم بلدات هامة مثل: صيدنايا، ومعلولا، ورنكوس، والنبك، ووبرود، وقارة، وعسال الورد وغيرها. كما أنها تشكل جبهة خلفية للمقاتلين في دمشق وريفها، فضلاً عن التواصل الذي تؤمنه مع عرسال، الداعمة للثورة (خط عرسال-النبك)، وقد سقطت هذه المنطقة بيد النظام - "حزب الله". (بتاريخ ١٦/٣/٢٠١٤ سقطت يبرود)، وتعتبر نهاية عاشوراء من العام ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م بداية الهجوم الفعلي على القلمون، بعد مدة غير قصيرة من القصف المتقطع، والاستطلاع بالنيران.

حقيقة نُبُل والزهاء

إضافة إلى ذلك يوجد هناك انتشار للحزب في نُبُل والزهاء؛ وهما بلدتان سوريتان متجاورتان في الريف الحلي؛ تعداد نحو ٧٠ ألف نسمة من الشيعة الإمامية^(١). عندما تحولت الثورة السورية من السلمية إلى

(١) قرية الزهاء كان اسمها (المغولة) وفي عهد حافظ الأسد أسموها الزهاء، أهلها من بقايا المغول الغزاة وسكان القريتين -نبل والزهاء- لا يتجاوزون خمسين ألفاً.

السلاح جعل النظام السوري من البلديتين قاعدة لشبيحته في ريف حلب، مستفيداً من العامل المذهبي، وتخويف الناس من الغالبية المحيطة، ما جعل أهل البلديتين في صفه.

ومنذ أن تمكن الثوار من السيطرة على الريف الحلي، ثم على أكثر من نصف مدينة حلب نفسها، لم يدخلوا نبل والزهراء، واكتفوا بحصارهما حماية لمناطقهم من هجمات النظام. ولم يخل الأمر من مناوشات وقاتل وثار، وفي كل مرة كان يتهم الثوار شبيحة النظام وأهالي البلديتين بالبدء، كان يرد الطرف الآخر بأنه في موقع الدفاع في مواجهة الطرف الآخر، لكن الأكيد أن الثوار في حلب لم يتبنوا مشروع تطهير الريف الحلي من الشيعة -على غرار مشروع تطهير الساحل السوري، ولا سيما بانياس من السنة، كما جاء على لسان مهرج أوران مؤسس حركة "المستعجلون" - بدليل أنهم لم يقدموا على اقتحام البلديتين أو حتى محاولة ذلك، رغم محاولات التقدم باتجاه عندان انطلاقاً من نبل والزهراء.

غير أن خسائر النظام المتتالية في حلب وريفها جعلته متمسكاً بمشروع استغلال الواقع المذهبي للبلديتين، وجعل رجالهما وقوداً لمعركة البقاء، فراح إعلامه على مدى أشهر يتحدث عن "مأساة البلديتين المحاصرتين"، وعن "وحشية الثوار"، وعن "حرصه على الأقليات"، وصولاً إلى الطلب من أهالي البلديتين مؤخراً أن ينتظموا في مجموعات قتالية معه.

وبعقلية ما قبل عصر قيام الدول الحديثة؛ راح أحد الضباط يعرض على رجال البلدين كل شيء (اللي بدكن إياه بصير) مقابل أن يرفعوا سلاحهم إلى جانبه ويقاتلوا في صفوفه (على مدى أشهر خلت كان إعلام النظام يتحدث عن بلدين مسالمتين لا سلاح فيهما!)، على أن يصبح كل مشارك موظفاً في الدولة تلقائياً، وأن يأخذ الموظف في الدولة علاوة ٥٠٪، وأن تتحول نبل والزهراء عاصمة للريف الحلي، وأن يُعفى المتخلف من الخدمة العسكرية من أية ملاحقة، وأن يُعوض على الجرحى، وتحل أية مشكلات أخرى!.

<http://www.youtube.com/watch?v=zAt7L9LzI2c>

بهذه الطريقة، وتعبئة مذهبية يدعي النظام السوري براءته منها، تحولت نبل والزهراء إلى قاعدة عسكرية في قلب الريف الحلي، الذي تعد بلداته "الحررة" بالعشرات. وما زاد الطين بلة دخول "حزب الله" على الخط مؤخراً، فقد أكدت المعلومات عن وصول مئات المقاتلين من "حزب الله" إلى ريف حلب؛ دخل بعضهم إلى نبل والزهراء.

ونتيجة لهذا الواقع المأزوم فقد تحول الصراع في الريف الحلي مذهبياً، ومحتدماً على نحو لم يشهده من قبل. يدلُّ على ذلك توافد المقاتلين السوريين وغير السوريين إلى ريف حلب، واستنهاض الكتائب المقاتلة هناك لنفسها بعد أشهر من الترهل بفعل السيطرة والانغماس في الإدارة وتنظيم شؤون الناس، والتصارع على الصلاحيات والنفوذ، ووصول أسلحة إضافية، وقرب الإعلان عن معركة تحرير "نبل والزهراء" ودحر حزب الله.

معارك غير مجدبة

فضلاً عن المشاركة في قمع التظاهرات في الأيام الأولى للثورة السورية؛ فقد كان لـ "حزب الله" مشاركاته الفاعلة في المعارك التي جرت وما تزال في سورية. الأمر يجري بالتنسيق مع النظام السوري، وهو يتشعب ويصبح أكثر استقلالاً مع الوقت، بحيث أصبحت مناطق موكلة كلياً أو جزئياً للحزب وحده (ريف القصير ومناطق في جبال القلمون) أو موكلة إليه وإلى الحرس الثوري الإيراني والمقاتلين الشيعة من جنسيات متعددة ممن ينضوون في لواء أبي الفضل العباس (منطقة السيدة زينب وطريق مطار دمشق وبعض الأماكن في الغوطة الشرقية ومنطقة جوبر-العباسيين والمناطق المحيطة بداريا). أما في بقية المناطق السورية فيشارك الحزب مع الشيعة وجيش النظام في قتال الثوار (بعض أحياء حمص - بعض مناطق درعا مثل بصرى الشام، وذلك على سبيل المثال لا الحصر).

شهدت منطقة ريف القصير أولى المواجهات المسلحة بين الحزب والثوار، وذلك في شهر حزيران من العام ٢٠١١، عندما حاول عناصر من الحزب التسلل إلى قرية ربله المسيحية السورية، عبر منطقة حوش السيد علي بغطاء من القصف الصاروخي. ولم تمض أيام على هذه الواقعة حتى بدأت المواجهات تشتد في ريف القصير، وفي هذه الأثناء ظهر فيلم مسرب يُظهر عناصر من الحرس الجمهوري مع عناصر آخرين من "حزب الله" في المعارك.

http://www.youtube.com/watch?v=9YscLuq4_vA

في ٦/٨/٢٠١١ صدر تقرير عن الأمم المتحدة؛ يؤكد تورط "حزب الله" والحرس الثوري في المعارك، وفي شهر تشرين الثاني عام ٢٠١١ أسهم "حزب الله" في معركة بابا عمرو والقاسية، لكن المعركة الأولى الكبيرة التي خاضها الحزب كانت في منطقة الزبداني مطلع العام ٢٠١٢، إذ أوكل جيش النظام إليه مناطق محددة للدفاع عنها (قاعدة عسكرية في بلدة مضايا)، وفتح له المجال ليقا تل بأسلوبه في الحملة الكبرى التي قام بها النظام السوري على المدينة في ١٣/١/٢٠١٢.

في شهر أيار من العام ٢٠١٢ قام الحزب باقتحام غير بلدة في ريف القصير؛ الصنفاة والمصرية والسوادية ومطربة وزيتا... استقر الحزب في هذه البلدات، وأنشأ تحصينات، وخاض معارك مع "الجيش الحر"، وفيما بعد تحدث ثوار القصير عن استعماله طائرة بدون طيار لتصوير تحصيناتهم المقابلة، وذلك في تعليقهم على سقوط طائرة استطلاع في سهل يونين (١٤/٧/٢٠١٢).

في دمشق؛ بدأ النشاط العسكري للحزب في شهر حزيران من العام الماضي. أول الحديث عن تورطه بالمجازر كان في دوما وسقبا. أما في حلب فقد تحدثت مصادر "الجيش الحر" عن اصطدامها بمقاتلين من الحزب اعتباراً من شهر تموز العام ٢٠١٢.

في ١١/١٠/٢٠١٢ شكّل خطاب أمين عام الحزب عن المقاتلين في القصير الذين "قرروا الدفاع عن أنفسهم وعن أرواحهم وعن أعراضهم وعن أملاكهم"؛ كلمة السر لبدء هجوم قاسٍ على قرى أبو

حوري والبرهانية والنهرية وغيرها، انطلاقاً من القرى الحدودية التي سبق أن احتلها الحزب.

في شهر شباط الماضي شن مقاتلو الحزب حملة جديدة لتوسيع مناطق سيطرتهم، محاولين مرة جديدة احتلال أبو حوري، والبرهانية، وسقرجة في ريف القصير (المحور الغربي من الجبهة)، لكن الهجوم لم ينجح ومني الحزب بخسائر كبيرة. ولتحسين وضعه سيطر الحزب فيما بعد بالكامل على بلدة ربله وتبادل السيطرة على جوسيه، وهما بلدتان متاخمتان للحدود اللبنانية ناحية الهرمل (المحور الجنوبي من الجبهة)، كما شن هجوماً احتل بموجبه تل النبي مندو (المحور الشمالي من الجبهة)، ثم أعاد الكرة في هجوم قاس تمكن بموجبه من احتلال قرى جديدة هي: أبو حوري، والخالدية، والنهرية (المحور الجنوبي من الجبهة)، والبرهانية والمنصورية وسقرجة والرضوانية (المحور الغربي من الجبهة)، لكن الثوار انتزعوا منه أبو حوري مجدداً، وفق بيانات صدرت عنهم لاحقاً، وذلك بعدما نجحوا في السيطرة على مطار الضبعة الذي كان يربط فيه عناصر من الحزب على جانب عناصر النظام.

أما في دمشق؛ فقد خاض الحزب معارك في حي جوبر (تحدث الثوار عن مقتل مسؤول منطقة جوبر رضوان مرعي أثناء القتال)، وفي الريف شارك الحزب القوات النظامية في الهجوم الفاشل على داريا، كما شارك في الهجوم على عرطوز، حيث وقعت المجزرة الأكبر حتى الآن، وذلك بعد انسحاب المقاتلين منها، لنفاد الذخيرة.

”حزب الله“ في القصير

حرص " حزب الله " على احتلال القصير، لاعتبارات عدة أهمها:

١. متاخمتها للحدود اللبنانية، وتحديداً منطقة الهرمل، التي يتمتع الحزب فيها بقاعدة شعبية ضخمة.

٢. وجود قرى في المنطقة يقطنها لبنانيون شيعة (كوكران- الحمام- مطربا - الجنظلية- وادي حنا...)، وقرى يقطنها سوريون شيعة (الديابية-الفاضلية-زيتا...)، وقرى مختلطة (حاويك- بلوزة- الصفصافة...).

٣. مرور كثير من خطوط إمداد السلاح السرية عبر هذه المنطقة (على سبيل المثال لا الحصر: نفق وادي حنا عبر منطقة "سهلات المي").

٤. موقعها جنوب حمص، التي يستमित النظام السوري في السيطرة الكلية عليها، تحسباً لخياره الأخير؛ الدولة العلوية.

ليس هذا فحسب؛ فالواقع أن " حزب الله " حوّل قسماً من الأراضي اللبنانية في الهرمل إلى أرض عمليات لدعم جبهة قتاله المفتوحة باتجاه الأراضي السورية؛ منها يقصف مواقع "العدو" (مرتفعات الهرمل)، ومن خلالها يمد مقاتليه في سورية بالمال والسلاح والذخيرة، وفوقها يقيم معتقلاً لأسرى "الجيش الحر" (بلدة القصر)، فضلاً عن تعاونه الميداني مع جماعة أحمد جبريل التي تقيم معسكرات لها في أعالي قوسايا البقاعية، لا سيما في دعم قواته وقوات النظام السوري في منطقة الزبداني (قصفت جماعة أحمد جبريل الزبداني ليل الأول من

نيسان ٢٠١٣ بالمدفعية الثقيلة لتخفيف الضغط عن قوات النظام والحزب في ترجمة عملية لموقف أعلنه أحمد جبريل في حزيران الماضي: "بجثنا الموضوع مع الإخوان في سورية ومع السيد حسن نصر الله ومع الإخوة في إيران. نحن جزء من المعركة".

ولـ "حزب الله" أيضاً معسكرات في البقاع يدرّب فيها الراغبين بالتوجه إلى القتال في سورية، من لبنانيين وغير لبنانيين. ووفق "الجيش الحر" فإن نشاط هذه المعسكرات لا يتوقف.

وسبق أن ذكرت صحيفة "واشنطن بوست" (٢٠١٣/٢/١٣) أن "حزب الله" يعمل على تنفيذ مخطط إيراني لـ "تشكيل ميليشيات مسلحة من خمسين ألف عنصر على الأراضي السورية لحماية مصالحها في حال رحيل الرئيس السوري بشار الأسد". ووفق "وورلد تريبيون الأمريكية" (٢٠١٣/٣/٩) فإن "حزب الله يدرّب الآلاف في وادي البقاع اللبناني لقمع الثورة السورية" وأنه "أنشأ مواقع استطلاع ومراكز؛ نشر بعضها قريباً من مدن حدودية سورية بهدف توفير الحماية والسيطرة على الطريق الدولي السريع الذي يربط بين دمشق وحمص والساحل السوري". أما "التايمز" البريطانية (٢٠١٣/٣/١٨) فكشفت أن إيران و"حزب الله" يعملان على تأسيس "ميليشيا تضم آلاف المقاتلين في سوريا، وذلك استعداداً لمرحلة ما بعد سقوط نظام الرئيس بشار الأسد".

يمكن تقسيم المعارك في القصير بين " حزب الله " والثوار إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: تمتد من حزيران من العام ٢٠١١ ولغاية شهر شباط من العام ٢٠١٢.

شهدت هذه المرحلة بدايات المعارك بين المتسللين من " حزب الله " والثوار. لم يكن في المنطقة غير أهاليها ممن ينتسب للجيش الحر، ولم يكن الحديث عن جبهة النصره رائجاً بعد. استطاع متسللو الحزب خلال هذه المرحلة تجميع أنفسهم في قرى ذات غالبية شيعية، وفيما بعد سيطروا على هذه القرى، وضموا إليها بلدة ربلة المسيحية.

المرحلة الثانية: من شهر شباط من العام ٢٠١٢ وتمتد إلى شهر حزيران ٢٠١٣.

في هذه المرحلة ثبت الحزب أقدامه في المناطق التي احتلها. اتخذ من بلدة زيتا قاعدة عسكرية له يدير منها هجماته على المحور الغربي باتجاه قرى البرهانية وسقرجة والعقربية، وقد نفذ هجوماً كبيراً نهاية شباط الماضي، باتجاه هذه القرى، لكن الهجوم لم ينجح ومُني الحزب بخسائر كبيرة. إلا أن جهود الحزب لتوسيع مناطق سيطرته وصولاً إلى مدينة القصير لم تتوقف، إذ تمكن بعد معركة قاسية جداً من السيطرة على تل مندو (قادش) على المحور الشمالي للجبهة خلال شهر نيسان الجاري. ردُّ الثوار جاء من الشرق إذ سيطروا على مطار الضبعة وطرودوا عناصر الحزب وقوات النظام منه.

بعد زيارة حسن نصر الله إيران؛ شن الحزب المهجوم الأكبر له على ريف القصير، وقد تمكن من احتلال المناطق التي عجز عن احتلالها في السابق؛ العقرية، وسقرجة، والبرهانية، والمنصورية، والرضوانية، والنهرية، والموح، وأبو حوري، والأذنية، والخالدية (قرى سورية بالكامل سكانها سنة عدا الأذنية فيها بعض المسيحيين) وثبت وجوده في جوسيه وربلة، قبل أن يتمكن الحزب وجيش النظام السوري من اقتحام باقي البلدات وصولاً إلى مدينة القصير نفسها.

كسر جرحى القصير إرادة القتال لدى ثوارها. انسحبوا من المدينة مع من تبقى من أهلها، وأعلن "حزب الله" والنظام السوري انتصاره!. عندما سقطت القصير، أدرك أهل حمص المحاصرون أن الدور سيأتي عليهم. تجهّزوا جيداً وقرروا القتال والاستشهاد. كان اعتقادهم في محله؛ فاحتلال القصير من قبل "حزب الله" وجيش النظام السوري، كان مقدمة ضرورية لاحتلال حمص. وهو -في الأحوال كلها- جزء من مخطط الدولة العلوية.

ومع أن خسارة القصير أعقبتها تعويض في مناطق كثيرة، لا سيما في درعا (تحرير المدينة كاملة، ومدينة إنخل ونحو ٤٠ حاجزاً، والمنافذ الحدودية مع الأردن كلها عدا نصيب)، وفي حلب وإدلب ودير الزور؛ إلا أن أوضاع حمص ازدادت سوءاً.

إلى وقت غير قصير؛ ستبقى استماتة "حزب الله" في احتلال مدينة القصير لعنة تلاحقه. لا يقتصر الأمر على ١٤١ قتيلاً نعاهم الحزب

خلال أقل من ثلاثة أسابيع من القتال هناك (من ١٩/٥ - ٢٠١٣/٦/٥)، ولا على مئات الجرحى الآخرين الذي يحمل الحزب أعباءهم إلى اليوم، ولكن خسارة الحزب أعمق من ذلك بكثير.

ستبقى معركة القصير محطة فارقة في تاريخ حزب يزعم انتسابه لله. في تلك المعركة عاد الحزب إلى من آواه قبل ست سنوات ليقتله!. لم يكن قتاله هناك عادياً، ولا حتى انتقامياً ممن أسماهم بعض مقاتليه: "بني أمية"، وإنما كان قتالاً مجرداً من الأخلاق كما كان معلوماً حينها، ووفق روايات الناجين من الذبح، وحسب ما أظهرت الأشرطة المصورة التي انتشرت، بما يؤكد وحشيةً وحقداً لم يستثن الجرحى المدنيين.

لم يظهر هذا الحزب في نظر العرب والمسلمين بهذه البشاعة من قبل. رغم قوته؛ فإن "حزب الله" لم "يتنصر" إلا بعد أن حاصر المدينة، ومنع عن أهلها الماء والغذاء والدواء. ورغم ضعف عتادهم؛ فإن أهل القصير ومن جاء لنجدها لم يخرجوا منها إلا بعد أن منع "حزب الله" إخلاء الجرحى الذين فاقوا الألف؛ يصرخون ليل نهار.

الناجون ساروا في طريق الموت المحدد لهم حتى أكلوا أوراق الشجر. هناك دفنوا قتلاهم وتعرضوا لمزيد من النيران، ومن ضل منهم الطريق خطفه "حزب الله" وقتله. أحد الأشرطة التي تسربت عن طريق الخطأ؛ أظهرت عناصر للحزب يقتلون جرحى أسروهم في تلك الفترة، وكانوا ينكلون في الجثث، ويتلذذون بالقتل. يتسابقون أيهم يحظى بالضحية قبل الآخر، ويقول أحدهم إن ما يفعلونه تكليف باسم الله!"!

<http://www.youtube.com/watch?v=ZivgYbg7OKg>

في ١٦ آب/٢٠١٣، ورداً على اتهام الحزب بقتل المدنيين وإعدام الأسرى، قال حسن نصر الله: "نحن حيث نقاتل، نقاتل بقيمنا. نحن لم نقتل أسيراً، وأنتم تعدمون الأسير في وضح النهار. نحن لم نقتل المدنيين، ونحن في بعض معاركنا سقط لنا المزيد من الشهداء لنحمي المدنيين!"

في ١٦ أيلول/٢٠١٣ اتهم تقرير صادر عن "لجنة التحقيق الدولية في أحداث القصير"، الحزب بارتكابه جرائم ضد الإنسانية. ذكر التقرير -المُعد لعرضه على مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة-، أن الحزب أفرط في استعمال النيران، وأنه دمر عن قصد محطات مياه الشفة، واستهدف خزانات الماء، ومنع الدواء وعلاج المصابين.

وفي ١٩ أيلول/٢٠١٣ نشرت The Wall Street Journal تحقيقاً تناول في جانب منه كيفية إدارة "حزب الله" للمناطق التي احتلها في ريف حمص (نشرت "المستقبل" ترجمته)؛ بما يؤكد منع السوريين المعارضين من العودة إلى ديارهم تحت طائلة الاعتقال.

في غمرة فرحتهم بـ "إنجاز" القصير، ارتفعت أقدامهم عن الأرض؛ فحلقوا بعيداً في أحلام تحقيق انتصارات إضافية. انتقل مقاتلو "حزب الله" إلى مناطق جديدة في سورية، وحشدوا جيداً في بُل والزهراء بريف حلب، وقال زعيمهم "إن مشروعهم (المعارضة السورية) بدأ يُهزم وأن موازين قوى بدأت تتغير"... فيما أخذت الحماسة أبواق النظام السوري في سوريا ولبنان؛ فقال أحدهم: "بعد سورية سنذهب إلى الخليج"، وقال آخر: "بعد حلب سنذهب إلى كيليكا (منطقة في تركيا اليوم)!"

في هذه الأجواء أطلق النظام السوري "عاصفة الشمال" لـ "تحرير حلب وريفها من التكفيريين"، ورسم خطة التقدم الآتية: السيطرة على المرتفعات الإستراتيجية التي تُشرف على ريف حلب؛ بحيث تصبح بلدات معرة الأرتيق ووندان وكفرحمرًا ساقطة عسكرياً- تحقيق التواصل الجغرافي بين مناطق سيطرة جيش النظام ومناطق سيطرة حزب العمال الكردستاني (BKK) المتحالف مع نظام الأسد- فك الحصار عن بلدي نبل والزهراء الشيعيتين- تحقيق التواصل بين هذه المناطق جميعها والإطباق على حلب.

مرت أيام بعد أيام دون أن يتمكن جيش الأسد من تحقيق أي إنجاز له في معرة الأرتيق أو في أي من المناطق الأخرى، وأخفق في تحقيق تقدم؛ وعد به الناس في حي صلاح الدين في حلب، وفشل مقاتلو "حزب الله" في سند الخابية (على قاعدة أن البحصّة تسند الخابية وفق تعبير أمين عام الحزب في خطابه الأخير).

نصر الله يكشف حصيلة اجتماعه بخامنئي: دعم النظام السوري بأي

ثمن!

لم يكشف حسن نصر الله في كلمته بتاريخ ٣٠/٤/٢٠١٣ عما دار في اللقاءات التي عقدها في إيران، خلال زيارته الاستثنائية لها، لكن ما هو شبه أكيد أنه كشف القرار الأهم- المكتوب بالخط العريض، وفق تعبيره- الذي أبلغته إياه القيادة الإيرانية: "إن لسورية (يقصد النظام) في المنطقة والعالم أصدقاء حقيقيين لن يسمحوا أن تسقط".

ماذا يعني ذلك؟

أولاً: أن الحزب يعطي أولوية استثنائية للحرب التي يخوضها في سورية، بما في ذلك أية مواجهة محتملة مع العدو الإسرائيلي، ويعود ذلك لإدراك الحزب أنه إذا لم يكسب الحرب في سورية فسيكون مصيره في مهبّ الريح؛ فالحرب لا تحتاج إلى صواريخ ورجال و "مفاجآت" فقط، وإنما إلى جبهة داخلية جاهزة، وإلى طرق إمداد، وإلى مناطق تؤوي مئات آلاف النازحين، وهذا ما لم يعد متاحاً في ظل الأوضاع الراهنة في سورية والاحتقان الحالي في لبنان.

ثانياً: أن الحزب قرر الانخراط بشكل أكبر في الحرب السورية؛ إعلامياً، وسياسياً، ولوجستياً، وعسكرياً... بما يفضي إلى التقليل من أهمية الملفات الداخلية كلها، بما في ذلك؛ تشكيل الحكومة، وسن قانون جديد للانتخاب، وقبل ذلك كله؛ تهميش الدولة اللبنانية بمؤسساتها كافة، "وحتى لا أحمل (وفق نصر الله) الدولة اللبنانية ما لا تطيق"، فيكون البديل قراراً يتخذه "حزب الله" منفرداً، بالتدخل في سورية، باعتبار أن هذا التدخل "لا يحتاج إلى قرار من أحد" وفق توصيف أمين عام "حزب الله"!

ثالثاً: أن الحزب يمهّد لتدخل أكبر وأشد تأثيراً في الحرب السورية؛ ليس بحجة الدفاع عن لبنانيين في القصير، ولا بحجة الدفاع عن المقامات الدينية "بدعوى منع الفتنة"، وإنما للدفاع علناً عن النظام السوري، وعلى أي حال؛ فإن نصر الله كان واضحاً جداً في هذه النقطة بالذات

عندما أكد لمعارضى النظام السورى، وكرر بالقول: " لا تراهنوا، لا تراهنوا على الميدان، الدفع بالميدان إلى اتجاهات خطرة لن يقف عند حدود".

رابعاً: أن الحزب أعطى لنفسه الذرائع الأولية لنقل المعركة إلى الداخل، لأن الطرف الآخر: " كل ما يمكن أن يفعله قد فعله"، وأن نصر الله يعرف "مجموعات لبنانية اعتدت على اللبنانيين في ريف القصير، نعرفهم بالأسماء، ونعرف المجموعات، ونعرف من أرسلهم، ولكن لم نحرك ساكناً في لبنان لأننا التزمنا منذ البداية تجنب لبنان أي مواجهة، حرصاً لا خوفاً، حباً لا طمعاً... لكن أريد أن أقول للجميع ما يجري في سورية هو يعيننا جميعاً، وانتهى الوقت -أو كاد أن ينتهي الوقت- الذي يكتفي فيه اللبنانيون وغير اللبنانيين بالتمنيات وبالتعبير عن العواطف وبإبراء الذمة من خلال إصدار بيان". وفي ذلك يكون الحزب قد أضاف معطى جديداً وخطيراً: حرب أهلية لبنانية تجري في ريف القصير؛ طالما أن المعتدى عليهم لبنانيون، والمعتدين لبنانيون، والمحركين لبنانيون، فلم يبق إذناً - طالما أن وقت الصمت والبيانات قد انتهى - سوى التحرك في لحظة ما ضد هذه المجموعات في لبنان!

خامساً: أن الحزب قرر خلع القفازات في مقاربتة الملف السورى، غير مهتم بنتائج ذلك على صعيد العلاقات السنية-الشيعية، المأزومة، سواء في لبنان أو سورية أو العالم الإسلامى، بل أكثر من ذلك؛ فقد كشف نصر الله خلال نقله فتوى العلامة يوسف القرضاوى (صاحب

مدرسة الوسطية في الفقه الإسلامي الحديث)، ومهاجرتها، وإنزالها في غير منزلها (باعتبار أن القرضاوي أجاب رداً على سؤال يجواز قتل من يدعم النظام، بوصفه سلطة قهرية؛ من عسكريين ومدنيين، ولا يعني ذلك أنه أجاز قتل الموظف الذي يصلح الكهراء كما "اجتهد" نصر الله في التفسير)؛ كشف عن استعداده للمخاطرة بما تبقى لحزبه من علاقات مع الحركات الإسلامية السنية، التي كانت حتى الأمس القريب على صلة وثيقة بالحزب، وعلى رأسها جماعة "الإخوان المسلمين"، بما في ذلك الجماعة الأم في مصر، وجناحها الفلسطيني؛ حماس، واللبناني: "الجماعة الإسلامية في لبنان". ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد؛ ذلك أن وصف معارضي النظام السوري بالتكفيريين لمجرد أنهم يقاثلون النظام أمر خطير للغاية، لأنه إباحة لدمائهم، مع أن الوصف نفسه يمكن أن يطبق على الحزب، إذا كان المعيار هو قتال المخالف.

سادساً: أن إيران، تبلغ بلسان نصر الله، كل من يعنيه الأمر، أنها سوف تتدخل عسكرياً في سوريا، في لحظة ما (ربما إذا انفتحت معركة دمشق فعلياً). على هذا الأساس وجه نصر الله كلامه إلى المعارضين في سورية: "أنتم غير قادرين على إسقاط النظام عسكرياً... فكيف إذا تدرجت الأمور في المستقبل إلى ما هو أخطر، ومِمَّا قد يضطر دولاً، أو قوى، أو حركات مقاومة، إلى التدخل الفعلي (يقصد الواسع) في المواجهة الميدانية في سورية". وبذلك يكون نصر الله، أعلن رسمياً انتهاء سياسة "النأي بالنفس"، وإعلان بعثها، وأقحم لبنان في سياسة المحاور.

وقد تمثلت ترجمة هذا الإعلان باحتلال الحزب قرى القصير ثم ريفها، ومن ثم القتال في القلمون واحتلال يبرود، وباقي مدن القلمون. إضافة إلى ذلك فإن الحزب استخدم - وما يزال - الأراضي اللبنانية في الحرب الدائرة على طول الحدود مع سورية؛ مرابض مدفعية نشطة في جرود الهرمل تقصف الداخل السوري - معسكرات تدريب للسوريين واللبنانيين في الهرمل وبعلبك لإعدادهم للقتال في سورية - معسكر اعتقال في بلدة القصر المقابلة للقصير... مع أن خطابات أمين الحزب إياه غارقة في المذهبية في الفترة الأخيرة، "لأنه لا يوجد الآن أناس لا يتكلمون إلا بهذه اللغة" كما قال - إلا أن ذلك لم يمنع نصر الله من التأكيد أن "النزاع في سورية ليس نزاعاً سنياً شيعياً" وهذا صحيح، باعتبار أن الحاصل في سورية ثورة شعب عظيمة، دون أن يعني ذلك عدم وجود نزعات طائفية داخل الثورة؛ أشار إليها نصر الله في الخطاب إياه، لكن من الذي يغذي النزعة الطائفية في الصراع الدائر في سورية؟ أليست إيران التي تضع ثقلها إلى جانب النظام المجرم (صرح الشيخ مهدي طائب، القريب من المرشد خامنئي: إننا لو خسرننا سورية لا يمكن أن نحفظ بطهران، ولكن لو خسرننا إقليم الأهواز فنستعيده ما دمننا نحفظ بسورية التي هي المحافظة الإيرانية رقم ٣٥، وهي تعد محافظة إستراتيجية بالنسبة لنا... لهذا اقترحت الحكومة الإيرانية تكوين قوات تعبئة لحرب المدن قوامها ٦٠ ألف عنصر من القوات المقاتلة لتستلم مهمة حرب الشوارع من الجيش السوري)؟

أليست دعاية "حزب الله" في أوساطه أن "الدور جايي علينا إذا سقط نظام بشار"؟ أليس حثهم الشباب على الدفاع عن مقام السيدة زينب "كي لا تُسبى مرتين"؟ أليست دعاوى مواجهة السفيناني -الذي هو "حتم من الله" ... "سيخرج من الشام" .. و "يملكها" -؟! من الذي يبث هذه الأفكار في الشارع الشيعي أليس "حزب الله"؟

نصر الله تحت مقصلة لسانه!

بعد احتلاله بلدة القصير، ارتكب أمين عام "حزب الله" في ٢٥/٥/٢٠١٣ خطأين بنظر حلفائه:

الأول: أنه أعلن -بشكل غير مباشر- انكسار النظام السوري بوجه "الجماعات التكفيرية"، ما استدعى دخول "حزب الله" في المواجهات على نطاق واسع، لأن "سيطرة هذه الجماعات على سورية أو على المحافظات المحاذية للبنان؛ خطر كبير على لبنان وعلى كل اللبنانيين ... وصولاً إلى دعوة خصومه في لبنان إلى التقاتل معه على الأرض السورية تحت عنوان: "دعونا نتقاتل هناك ونُحيد لبنان"، وهي دعوة لا يمكن لأي نظام في العالم، مهما بلغ من الضعف، ألا يعتبرها اعتداءً عليه وعلى سيادة البلد الذي يحكمه.

تسريب امتعاض النظام السوري من هذا "الخطأ" للإعلام، ومن ظهور الحزب لاحقاً كصانع لانتصار القصير، ومن ثم مراجعة السيد نصر الله بالمسألة؛ أفضى إلى نظرية جديدة أطلقها نصر الله في خطابه في

ذكرى الجريح-١٤/٦/٢٠١٣ تقوم على أساس تكبير صورة الجيش السوري المنهار بوصفه خايبة، وتصغير صورة "حزب الله" بوصفه بخصّة، والقول: "إن البحصّة - ولو كانت متواضعة تفيد لأنها تسند الخايبة"، على ما يقول المثل المعروف.

الثاني: استفزاز نصر الله لغالبية الرأي العام العربي والإسلامي المصدوم من "قلة وفائه" تجاه الشعب السوري، لا سيما تجاه أهل القصير، بعدما حاصرهم وحرّمهم أسباب الحياة، ومنع إخلاء جرحاهم، ومخاطبة جمهوره عنهم -أو عن المقاتلين المتحصنين في القصير- كما لو كانوا العدو الإسرائيلي، وصولاً إلى قوله: "كما قلت لكم في الأيام الأولى من حرب الـ٢٠٠٦: كما كنت أعدكم بالنصر دائماً أعدكم بالنصر مجدداً".

تسببت هذه الفجاجة في كلام نصر الله بمرج كبير لخلقائه السنة، فراجعهم بعضهم، على أساس أنه إذا كان لا بد من تدخل الحزب في سورية، فلا داعي أن يكون الفخر بقتال السوريين والانتصار عليهم بهذا الشكل. صحح نصر الله الموقف في الخطاب التالي، فلم يستعرض إنجازات مقاتليه كما كان يفعل في حرب تموز، ولم يعد بانتصارات جديدة كما فعل في خطابه السابق، واكتفى بالتأكيد أن مساهمة حزبه في القتال "مجدية وأثبتت حتى الآن أنها مجدية، ولا أريد الدخول في هذا الموضوع أكثر من ذلك".

ثمة الكثير من المسائل التي تثار حول تضليل نصر الله للرأي العام:

١- إعلانه القتال إلى جانب النظام السوري بشكل سافر، باعتبار أنه يقاتل المشروع الصهيوني - الأميركي في سورية. وبما أن هذا الأمر يتعارض مع إعلان بعداء، الذي وافق عليه الحزب؛ فقد برر نصر الله الأمر بأن الآخرين من اللبنانيين فعلوا ذلك قبله، ولكنهم -خلافاً لشفافية "حزب الله" - لم يعلنوا، لذلك حاول نصر الله تكبير وتبكير التدخل العسكري لغيره، وتقليل وتأخير التدخل العسكري لحزبه؛ خلافاً للحقيقة (قال: "ممكن أن يصلوا إلى مئة ألف أو أكثر").

٢- في معرض رده على منتقدي تدخل حزبه في سوريا؛ اعتبر نصر الله أن تحميله مسؤولية استجلاب الإرهاب إلى لبنان ليس إلا منطقاً تبريراً للإرهاب نفسه، متسائلاً: "قبل أن نذهب إلى سورية، ألم يكن في لبنان حربٌ فرضها هؤلاء في الشمال وبعض المخيمات؟" والجواب قطعاً: لا، لأن الإرهاب الذي كان يواجهه لبنان قبل تدخل "حزب الله" في سورية هو أشبه بالإرهاب الذي يعانيه أي بلد في العالم، كما أن بعضاً منه مصدرٌ من النظام السوري، وهو في كل الأحوال مختلف عن الحال الجديد الذي وصلنا إليه، باعتراف نصر الله نفسه؛ الذي أقر بأن "الأمر يستحق الصبر، وتحمل التبعات، لأن الشهداء الذين سقطوا بالتفجيرات هم كالذين استشهدوا في سورية، وهذه الشهادات والدماء والجراح، وهذا الصبر والتحمل هو جزء من هذه المعركة".

٣- ولما كان نصر الله يعلم أن تبريره السابق ليس مقنعاً، أفلهُ لغير جمهوره، فلقد اندفع في فرضية تبريرية أخرى، تقوم على أساس أنهم "جاين جاين" (أي أن الإرهاب قادم إلى لبنان الآن أو لاحقاً)، ما يبرر -بحسبه- حرباً استباقية! وللمفارقة فإن منطق الحرب الاستباقية هو نفسه التي تعتمده "إسرائيل" في عدوانها على العرب عامة، والفلسطينيين واللبنانيين خاصة. وأهم من ذلك؛ إغفال نصر الله للسبب الذي دعا بعض الجماعات المسلحة في سورية إلى تهديد حزبه، باعتباره مسؤولاً عن معاناة السوريين منذ البدء (في المظاهرات الأولى كان "حزب الله" حاضراً وكان المتظاهرون ينددون به).

٤- ثم يسأل نصر الله: "لماذا يحق لكل دول العالم والسعودية وتونس وغيرها أن تقلق من وجود شبابها في هذه الجماعات المسلحة في سورية، ولا يحق لنا كلبنانيين؟".

وهنا يبلغ منطق نصر الله قمة التهافت؛ لأن التبريرات التي ساقها نصر الله دليل عليه لا له، فإذا كان نصر الله معجباً بالإجراءات التي اتخذتها السعودية وتونس لمنع مشاركة الشباب في القتال في سورية، فالأحرى به أن يتوقف عن إرسال شباب حزبه للقتال في سورية، لا أن يفعل العكس، وتالياً فإنه إذ يدعو الحكومة الجديدة لحماية لبنان من تداعيات القضية السورية، فعليه أن يرضخ لتجريم مشاركة مقاتليه في سورية في حال كان منسجماً مع ما يقول!

٥- ويستهزئ نصر الله بشعار النأي بالنفس الذي رفعتة الحكومة التي جاء هو بها، وهذا غريب، لكن الأغرب أن "حزب الله" وافق على إعلان بعبدا، وجوهر هذا الإعلان هو النأي بالنفس عن القضية السورية، كما أن قيادات الحزب كلها أشادت بسياسة النأي بالنفس، بل إن نائب الأمين العام للحزب الشيخ نعيم قاسم وصل به الأمر إلى حد اعتبار "الوضع في لبنان مضبوط بقرار النأي بالنفس" (٢٠١٣/٣/١٢)، بل إن نصر الله نفسه أشاد بسياسة النأي بالنفس قبل عام من الآن قائلاً: "النأي بالنفس مبدأ مهم، والأهم عدم إقحام الموضوع السوري في لبنان، ونحن نقول بإبعاد لبنان عن الصراع في سورية" (٢٠١٣/٢/١٦).

٦- ويختصر نصر الله المشهد السوري بصورة واحدة فقط؛ نظام يقاتل تكفيريين، ويختصر واقع القوى التي تقاتل جيش النظام السوري بـ "داعش" و"النصرة"، وهذا تحريف واضح للواقع، لأن المشهد السوري أعقد من وجود تكفيريين؛ تسبب قمع النظام وتعدّيه على الذات الإلهية والحُرّمات والمقدسات باستجلابهم من العالم أجمع (فضلاً عن أن داعش على صلة ما بالنظام)، كما أن نسبة هؤلاء من حجم المقاتلين لا تتعدى بأحسن الأحوال ١٠٪ من القوى المقاتلة (الجيش الحر، والجبهة الإسلامية، وجيش الإسلام، وجبهة الأصالة، وهيئة الدروع، وجبهة الثوار السورية، والجبهة الجنوبية...)، وأهم من ذلك كله أن الجيش الحر والقوى الثورية السورية الأخرى (الجبهة الإسلامية تحديداً وهي تضم عشرات آلاف المقاتلين) هي التي قاتلت وتقاتل

"داعش" وتخرجها حالياً من معقلها في سورية... وهذا كله يعني أن نصر الله قدّم استنتاجات خاطئة بناها على مقدمات محرفة!

عار المجازر الطائفية

أخبار نعي "حزب الله" لمقاتليه في سورية، ليست إلا وجهاً واحداً لتورطه هناك، فالوجه الأكثر بشاعة هو ما يفعله المتعميون ورفاقهم من قتل وتشريد وتنكيل، وما يُندي الجبين أكثر؛ سلسلة مجازر تورط بها ذلك الحزب، الذي يدعي الوصل بالله، ولعل أبرزها مجازر القصير والنبك (مشاهد ذبح الأطفال ٩/١٢/٢٠١٣ و حرق جثث العائلات) وبيروود ودير عطية.

وشكل "حزب الله" رأس الحربة في حصار حي السيدة زينب في دمشق، لدرجة اضطرار الأهالي إلى أكل لحوم القطط والكلاب بسبب الجوع، وكان الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول ٢٠١٣ شهد فضيحة أخلاقية لـ "حزب الله"، عندما ظهر شريط مصور يظهر مجموعة من الحزب المذكور وهم يجهزون على جرحى سوريين ويُنكلون بجثث آخرين، وفيما لم يصدر الحزب أي تعليق على هذه الفضيحة؛ فإنه يُرجح أن تكون المشاهد من بلدة القصير عقب احتلالها.

أما في حمص؛ فلا تزال مجموعات الحزب تسيطر على أحياء من المدينة، وهي تشكل رأس حربة في محاور باب هود وجورة الشياح والقراييص والقصور.

وبالانتقال إلى الشمال السوري فقد أسهم الحزب بارتكاب مجزرة في قرية رسم النفل في ريف حلب الشرقي، راح ضحيتها ١٩١ من سكانها حرقاً ورمياً في الآبار في شهر تموز الماضي.

وقد أصدر الائتلاف الوطني السوري تقريراً يحمل عنوان "بالسكين" يوثق أهم المجازر التي ارتكبتها جيش النظام السوري والمليشيات الداعمة له، لا سيما العراقية و"حزب الله"، بدءاً من مجزرة الحولة في حمص ٢٥/٥/٢٠١٢ وصولاً إلى مجزرة كوكب في ريف حماة ١٥/١١/٢٠١٣، ويبين التقرير بالوقائع كيف أن النظام السوري بكرّ بارتكاب المجازر معتمداً على فرق موت يشكل "حزب الله" إحداها.

حزب الله والشبيعة

علي الأمين

إعلامي لبناني - رئيس تحرير
صحيفة البلد. تصدر من لبنان

"التمن الشيوعي" في سورية

إلى فترة قريبة؛ لم يعلن "حزب الله" رسمياً انخراطه العسكري والأمني في دعم النظام السوري أسوة بدعمه السياسي والإعلامي. في البدء أعلن أنه يدافع عن لبنانيين مقيمين في الأراضي السورية وعلى مقربة من الحدود مع لبنان. تلك الحدود التي منعت السلطات السورية ترسيمها في العقود السابقة. لم يطالب حزب الله الحكومة اللبنانية بالقيام بواجباتها في نشر الجيش على تلك الحدود، خصوصاً تلك الممتدة من "البقاع" إلى "الهرمل".

إزاء هذا المشهد، تتنامى فرص غرق "حزب الله" في الرمال السورية، وينقل مراسلون من داخل سورية ومن حلب، وريفها تحديداً، أن خطاب العداء موجه ضد الشيعة عموماً وليس "حزب الله" فحسب. وهذا بات حقيقة لا يستطيع المرء أن يتجاوز آثارها المرتقبة. وهو واقع نما وكبر وترسّخ بقوة التحالف بين النظام السوري وإيران في مواجهة الثورة، وبحجم القتل والدمار الذي يعتقد السوريون في تلك

المناطق أنه ما كان ليقع لولا غطاء ودعم إيران و "حزب الله" . لذا لا يميّز هؤلاء بين نظام الأسد وعصبته العلوية من جهة، وبين الشيعة عموماً. فهم مقتنعون بأن حياة النظام قائمة على شريان شيعي يمتد من "حزب الله" وإيران والعراق.

ما جره الحزب على الشيعة لم يقتصر على جانب العداء الفكري، وإنما جر "حزب الله" على الشيعة ظاهرة الجثامين المحملة من سورية باتجاه لبنان، ولاحقاً ظاهرة السيارات المفخخة، التي ضربت مناطق الشيعة في لبنان.

أتى ذلك بعد انتقال ماكينه التعبئة حزب الله وإعلامها من مرحلة التنصل من "تهمة" المشاركة في الأحداث السورية إلى مرحلة التعامل مع هذا الانخراط في القتال، باعتباره أمراً واجباً ويوازي قتال العدو الإسرائيلي المرابط على الحدود الجنوبية، كما ورد على ألسنة بعض المسؤولين في "حزب الله" خلال جولاتهم في بعض المناطق ورداً على أسئلة وجهت إليهم من الناس.

تتخذ المرحلة هذه بُعد تشريع الانخراط في الحرب من باب الدفاع عن المقامات الشيعية المقدسة كمقام السيدة زينب في ريف دمشق، أو حماية المواطنين اللبنانيين المقيمين في سورية، ثم الشيعة السوريين في بلدهم، كحال عشرات القرى القريبة من الحدود اللبنانية في ريف حمص. ويواكب هذا التشريع سيل من خلق المبررات التي تندرج ضمن إثارة العصبية المذهبية وتسنيها، في مواجهة من تسميهم "أعداء أهل

البيت"، ضمن مشهد مريع يستحضر كل موروثات الفتن المذهبية بين السنة والشيعة.

التعبئة الحزبية والمذهبية لا تكفّ عن السعي إلى إيصال رسالة واضحة للجمهور مفادها أننا "إذا لم نقاتلهم في عقر دارهم فهم سيأتون إلينا ليقاتلوننا في كل الأحوال"، وإن "قاتلنا في دمشق أو في ريف حمص ما هو إلا قتال دفاعي عن الضاحية والبقاع والجنوب". ويمكن لأي متتبع لشبكات التواصل الاجتماعي، أو حتى لبعض صور الاحتفاء بقتلى الحزب في سورية، أن يلحظ كيف أن معركة الدفاع عن مقام السيدة زينب شعار يكاد يشبه في استخدامه مشهد رفع جنود معاوية المصاحف على رؤوس الأشهاد في معركة صفين.

ومطالبة بعض القريبين من حزب الله بالخروج من سورية دفعت نحو اعتراض ورفض عناصر وكوادر في الحزب الذهاب للقتال هناك، وإن أدى ذلك إلى فصلهم من الحزب وقطع أرزاقهم. وإزاء ردات الفعل هذه ازدادت عمليات التحريض بطرق مباشرة وغير مباشرة وعبر أدوات منظمة حزبياً على كل من يشكك بشهادة من يقتل في سورية من اللبنانيين.

لكن رغم ذلك لم تستطع هذه الماكينة الحزبية أن تستصدر فتوى معلنة وواضحة من مراجع شيعية دينية، على قدر من الأهمية، بوجوب الدفاع عن المقامات الدينية من قبل الشيعة اللبنانيين في سورية، علماً أن المتداول هو العكس تماماً. وعلماً أن هذا الانخراط في الأحداث السورية

يتجاوز البعد المذهبي والديني المضخم والمصطنع بدرجة عالية، إلى عواقب تطاول لبنان، بسبب إرسال المقاتلين إلى سورية سواء من قبل " حزب الله " وغيره، تأييداً للنظام أو ذوداً عن المعارضة. وهو أمر لا يمكن أن تقرره طائفة بمفردها فكيف إذا كان حزباً في طائفة.

في المحصلة بدأ الكثير من الشيعة يتحسسون مخاطر الانجرار والغرق في الرمال السورية، ويتخوفون من ازدياد وتيرة أعداد الذين يقتلون من " حزب الله " في سورية، ومن تعميق الشرخ المذهبي الذي يوفره هذا القتال بين السنة والشيعة، حتى إنه يمكن القول إنَّ التخبط والارتباك هما السمة الأبرز في المشهد السياسي الشيعي اليوم. فقد أُلْف مناصرو حسن نصر الله وجمهوره أن يخرج عليهم بين الحين والآخر ليتلو عليهم أمر اليوم. يجدد لهم الحليف والصديق ويشير إلى عدوهم ويصوب على لائحة الأعداء، إلى ما هنالك من مقولات تخفف عنهم أثقال التفكير، وتطوي من ذاكرتهم مفهوم الأسئلة والاجتهاد، كي لا تستدرج في الوعي أي نوع من المحاسنة. وظلت العصبية وانشدادها هي الغاية المنشودة، تلك التي طالما اشتدت حين تعاد مرة بعد مرة، تذكيرهم بأنَّ في لبنان من يريد إعادة الشيعة إلى القمقم، أو كما أخبرهم نصر الله أكثر من مرة: ثمة من يريد أن يعيدكم ماسحي أحذية أو عمالاً في المرفأ.

اليوم لا يخرج عليهم من يقدم لهم إجابات شافية عن الخصم والعدو، عن الصديق والحليف، عن السنة، عن الثورات، عن الإسلاميين الآتين على أكتاف الربيع العربي... ارتباك وتخبط أيضاً

يطلق العنان للتجيش المذهبي من خطر سلفي داهم من جهة الشرق، أو خطر سنّي يريد للشيعّة الهلاك، وأن "صاحب العصر والزمان" يستعد للخروج. فالعقل السياسي الشيعي المهيمن في لبنان لم يسع (ولا أقول لم ينجح) إلى نقل جمهوره واللبنانيين إلى مصاف المواطنة، خصوصاً حين صار في موقع الغالب وليس المغلوب، أو بالأحرى المتقدم لجهة تحقيق الانتصارات، أو القابض على وعودها، حين كانت تبدو مخبأة في جيبه.

هذا الجمهور يتحمّس مآزقه أينما كان، بعضه كان يتمنى إزاء ما يجري في مصر لو أن حسني مبارك لم يزل على رأس السلطة، وآخرون كادوا يقيمون مجالس العزاء على مقتلة معمر القذافي، وآخرون مغرقون في مذهبتهم صاروا يترحمون على علمانية تونس زين العابدين بن علي. أما "الإخوان المسلمون" فحيناً هم مقاومون وحيناً أداة المشروع الأميركي، أما في سورية فالإخوان المسلمون هم العدو، وفي مصاف القتلة، أما حركة حماس فحدّثت مع بعض الحرج.

تخبط وارتباك وارتباب أيضاً من المخيمات الفلسطينية ومن السوري كمواطن أيضاً. تهافت الارتباك والتخبط يبرز أيضاً في امتهان الدين والشريعة من أجل مكاسب سياسية ضيقة. الغريب أن تصدر فتوى من مرجعين شيعيين في إيران قرييين من السلطة الرسمية فيها، الأولى تداولتها بعض المواقع الإخبارية ولم يجر نفيها، يميز فيها هذا المرجع لسائليه قتل اللاجئيين السوريين إلى لبنان تحت حجة قيامهم بجرائم حتى لو أدى ذلك إلى إصابة الأبرياء، لأنّ ذلك يدخل في عداد

القتل الخطأ. وثانية تصدر من مرجع آخر يحرم على مقلديه الذين ينتمي معظمهم إلى حزب الدعوة الحاكم والتيار الصدري انتخاب العلمانيين. وهي الفتوى الدينية التي كان هدفها السياسي المباشر تثبيت سلطة المالكي بمنع التقارب بين التيار الصدري وتيار إياد علاوي، فتوى طمأنت المالكي على موقعه الرئاسي، وأخرجته لجهة تبرير تحالفه مع الرئيس جلال طالباني العلماني، فضلاً عن شرعية انتخابه كرئيس للبلاد.

" فصل الخطاب " أنّ العقل السياسي الشيعي المهيمن اليوم في لبنان يتخبط بين خيبة وعداء ضدّ فضاء إسلامي، وعجز متمادٍ عن تظهير هوية وطنية تحمي الشيعة ... إنه الارتباب حتى من الذات.

في أحد اللقاءات مع المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله بعد تحرير الجنوب من الاحتلال الإسرائيلي في العام ٢٠٠٠ قال رحمه الله: " إنّ إنجاز التحرير هو أفضل أسلوب لتلميع صورة التشيع في فضاء المسلمين السنة في العالمين العربي والإسلامي " .

يمكن تطبيق هذا القول على حرب العام ٢٠٠٦، رغم ما أحاط بهذه الحرب من انقسامات على المستوى اللبناني الداخلي، ذلك أن صدى ما حققه حزب الله عربياً وإسلامياً كان كبيراً إلى حد أن شيعية " حزب الله " لم تكن عائقاً أمام عموم الجمهور السني العربي وغير العربي في الاحتفاء بصمود " حزب الله " والمقاومة ذات الهوية الإسلامية الشيعية.

حتى يوم ٧ أيار ٢٠٠٨ الشهر، الذي عمّق الانقسام اللبناني بسبب استخدام قوة المقاومة العسكرية في ميزان الصراع السياسي الداخلي، تمكّن " حزب الله " من أن يحدّد جزءاً أساسياً من هذا الجمهور العربي والإسلامي عن الانقلاب عليه، وبقي هذا الأمر متاحاً له إلى حد كبير حتى بعد إقصاء سعد الحريري عن رئاسة الحكومة في نهاية العام ٢٠١٠. وربما نجح في لجم الخسائر، لأنه كان قادراً على إظهار وإقناع الكثيرين في خطابه أن سلوكه هذا يصطدم بنظام مصالح سياسي تمثله أطراف إقليمية ودولية، وليس مع وجدان عربي وإسلامي سني.

مع تورط " حزب الله " في سوريا اصطدم فعلياً بالوجدان العربي بشكل مباشر، وانكشف المستور، فلم يقتصر الأمر على الحزب، وإنما أدى إلى عزل الطائفة الشيعية عن محيطها أولاً، ثم نقلها اليوم إلى مرحلة الانفصال عن بيئتها، ومن معالم هذا الانفصال تفشي مفهوم أن العرب شيء آخر غيرنا، وهذا ما يؤكد أن إيديولوجية " حزب الله " في تبرير دعمه النظام السوري أحدثت قطيعة مع الوجدان السني؛ قطيعة لم يعد الحزب قادراً على إحالتها إلى مؤامرة كونية، بل إلى التعامي عن حقيقة أن في سورية شعباً مظلوماً ونظاماً ظالماً.

العودة إلى الخطاب الديني بهويته المذهبية، تعني أن هذه البيئة المحيطة به تتجه أكثر فأكثر نحو مزيد من التمدد والانغلاق، ونحو مزيد من القطيعة مع المذاهب الإسلامية الأخرى. وما يعزز هذا الاتجاه: أن العنوان السياسي لم يعد قادراً على ترويح نفسه، لذا لا بد من الذهاب

إلى البعد الديني. وهذا البعد في مرحلة التمدد يذهب نحو التفكير الأسطوري، لتجنب السؤال التاريخي.

إشغال المنطقة بالصراع السني - الشيعي، والإعلاء من شأن المذاهب وخصوصيتها، يمكن أن يوفر الوظيفة التي اعتمدها بعض الأنظمة كل على طريقته، ألا وهي تعليق المطالب بالحرية والديمقراطية على مشجب الصراع مع إسرائيل، لكن المخيف في الشرخ السني - الشيعي أن الجميع يجد له الذرائع أو المسوغات... باسم المقاومة والممانعة والأقليات حيناً، وباسم الاعتدال والعروبة والإسلام والأكثرية، وصولاً إلى "الأميركان".

إفلاس حزب!

مسار الأحداث في سورية والتعبئة الثقافية والإعلامية المواكبة له لبنانياً، وفّر لـ "حزب الله" تجاوز الكثير من القواعد التي طالما اعتبرها من أسس تكوينه، أي الوحدة الإسلامية وشعار الأمة الإسلامية، لينخرط في المشهد السوري إلى التسليم بمقولة حماية بعض القرى الشيعية من الاضطهاد أو حماية المقامات الدينية، تبرير يوحى أن الاضطهاد في سورية لا يطال السنة أو المسيحيين أو سواهم، أو أن المراكز الدينية المستهدفة هي مراكز الشيعة وليست المساجد على العموم أو غيرها. يعكس هذا السلوك انزلاقاً فاضحاً في المسار الثقافي الطائفي والمذهبي الذي يتمشى مع التجزئة ومسار نشوء كيانات طائفية.

"حزب الله" دخل في التجربة، بإرادة المرجعية الإسرائيلية التي أنشأتها، عبر تجربة الحرب المذهبية لحماية المقاومة. تجربة يمكن أن تسمح بانتساب نظام قتل هذا العدد الهائل من أبناء شعبه إلى خط المقاومة، ويستعد تحت حجة حماية المقاومة أو مواجهة الجماعات الإرهابية (بحسب مصطلح الممانعة) تبرير قيام الكيان العلوي، وصولاً إلى القتال حتى آخر سوري في سبيل حماية المقاومة كما يدعي.

"حزب الله" الذي يحيل ما يجري إلى المؤامرة على الممانعة والمقاومة، يدرك أن الذود عن الأسد واستبساله في الدفاع عن سلطته، سوف يؤدي مع تضعف سلطة الأخير، إلى مخاطر تعرض مناطق انتشاره إلى الاختناق، بسبب انحسار خط الإمداد الاستراتيجي الذي يوفر الحماية والحياة لسلاحه. وكما أن سورية هي عمق استراتيجي لإيران، كما وصف الشيخ مهدي طائب الذي يتأسس مقر "عمار الاستراتيجي"، مسمى سورية بالمحافظة الإيرانية رقم ٣٥: "سوريا هي المحافظة الـ٣٥ وتعد محافظة إستراتيجية بالنسبة لنا، فإذا هاجمنا العدو بغية احتلال سوريا أو خوزستان، الأولى بنا أن نحتفظ بسوريا".

هذا يفسر الاستماتة الإيرانية في الدفاع عن نظام بشار الأسد، كما يرجح الرهان على الكيانية العلوية، لمحاولة فرض واقع قائم على توازن قوى طائفية في سورية، يتيح لإيران المحافظة على وجودها الفاعل عبر الطائفة العلوية، ويؤمن لـ "حزب الله" فرص استمرار خط الإمداد الاستراتيجي ولو بشروط أصعب من السابق.

من هنا يمكن أن نلاحظ كيف ينكفي الخطاب الممانع والتحريري الديني نحو دوائر عصبية ومذهبية ينهل من أمراضها، ويستقوي بها ويدجج جمهوره بمنطق انقسامي، ويطلق العنان لثقافة الانقسام المذهبي المتخلف، فقط لمواجهة مقولة التحرر من الاستبداد والحماية النفوذ والسلطة وليس الدين أو القيم الإنسانية، فحين يصعب الرد على مطالب الحرية والكرامة ومقاومة الظلم والتسلط والمصادرة للشعب السوري، تستحضر المؤامرة والخرافة (خروج الإمام المهدي) كجواب ينعش الخطاب المذهبي أو التكفيري، وهو جواب العاجز الذي يحد العقل ويستنجد بالروايات الدينية الصحيحة وغير الصحيحة في محاولة إسقاط تعسفي محبوك بدجل على العقل والدين، فكلما همّش المنطق والعقل تقدمت الخرافة والعصبية المذهبية كجواب يبرر اللامنطق في حياتنا الدنيا، لا لشيء إلا لتبرير سحق المظلومين والطامحين إلى كرامة إنسانية في المقلب الآخر. بذلك الإسقاط وحده يتحول مطلب حرية الشعوب إلى رجس من عمل الشيطان. بل تستكمل ثقافة الاستبداد الديني وغير الديني مسيرتها المريبة والمأزومة، لتعلي من شأن القوة الغاشمة، في مواجهة قوة الحق، فيصبح قتل المدنيين عملاً مشروعاً، بل بطولياً من قبل أجهزة النظام في سورية، ما دام هؤلاء لا يسلمون بـ "حكمة" هذا النظام ورموزه.

وكلما تفاقم انخراط "حزب الله" في الأزمة السورية، ورسخ دوره القتالي على أراضيها، برزت الحاجة لديه ولدى جمهوره إلى مزيد من

إيجاد الذرائع والمبررات لهذه الحرب التي امتدت نيرانها إلى لبنان، لاسيما بعدما صارت المناطق ذات الغالبية الشيعية هدفاً للسيارات المفخخة.

كانت حجة القتال الدفاع عن المراقد الشيعية المقدسة في سورية، وتقدم شعار: " لن تسبى زينب مرتين " كذريعة للقتال، وقد رافق الشعار جثامين القتلى المقاتلين المحمولين من سورية إلى مشواهم الأخير في لبنان، ورغم أن " حزب الله " ، بعدما توسع أو انكشف حجم مشاركته القتالية، عاد وقدم شعار القتال دفاعاً عن المقاومة، وخلص أخيراً إلى اعتبار مشاركته في القتال وجودية.

إذاً؛ لم يعد شعار الدفاع عن المراقد المقدسة وتوابعه كافياً لتبرير الذهاب للقتال في سورية، فيما ينتشر في بعض البيئات الشيعية وتلك اللصيقة بحزب الله استحضار متنام بشكل لافت للروايات الدينية المذهبية التي تتحدث عن موعد ظهور الإمام المهدي وما سيرافق هذا الظهور من أحداث. ويجري إسقاطها على مجريات الحرب السورية وجغرافيتها ورموزها.

وإن كانت عقيدة ظهور الإمام المهدي ثابتة في المذهب الشيعي، إلا أن الثابت أيضاً أن العديد من الروايات التاريخية المتداولة حولها من أحداث وأشخاص ومواعيد للظهور ليست صحيحة كما يؤكد معظم الفقهاء الشيعة. وهم يشككون بمصادرها، لا بعقيدة الإيمان بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان. العودة إلى هذا الخطاب الديني المذهبي

تلقي رواجاً لدى بعض الأوساط الشيعية، وهي تواكب بشكل صريح قتال " حزب الله " اليوم في سورية أو ضد التكفيريين.

لا بد من الإشارة إلى أنه في أساس تكوين " حزب الله " الإيديولوجي، هو مكون ديني وشيعي خاص، وهو عاجز عن الترويج لنفسه بناء على هذه القاعدة لدى أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى، انطلاقاً من أن ولاية الفقيه وعقيدة ظهور الإمام المهدي تتعارضان مع المذاهب الإسلامية الأخرى، لذا في بدايات الحزب كانت فلسطين هي عنوانه السياسي، والمشروع السياسي الذي أمكن له من خلاله أن يلقي رواجاً في البيئات السنيّة وغيرها، واستطاع من خلال المواجهة التلميعية مع إسرائيل أن يلقي رواجاً في البيئات المختلفة.

يزيد سورية... وحسينيوها

لقد اعتقد النظام السوري واهماً، مستنداً إلى نجاحه في البقاء ممسكاً بالسلطة منذ عقود، أن سرّ قوته هو سياسة الممانعة، لذا كان الرئيس بشار الأسد يعتقد، مع انفجار الثورة المصرية وقبلها التونسية في العام ٢٠١٠، أن الممانعة السورية ضد إسرائيل هي سرّ ثقة الشعب بالنظام ومصدر قوته. وكأنه يقول: مانع وافعل ما شئت، فللممانعة شعب يحميها.

في المبدأ كان يعتقد النظام، أو هكذا بدا، أن شرعيته الشعبية تكمن في موقف " الممانعة " الإقليمي المدّعى، ما يجعل من مطالب الإصلاح

السياسي، والأمني وحتى الاقتصادي، من القضايا غير الأساسية في اهتمامات الشعب السوري، الأمر الذي تغير مع الثورة:

أولاً: ظهر أن الشرعية الشعبية للنظام التي روج لها في السنوات الماضية واعتقد بها ليست واقعية، وأن الشعب السوري انتفض على هذه المقولة التي تحولت من غاية مقنعة نسبياً إلى وسيلة للحكم وتأييد حكم الفرد أو العائلة وأدواتها الأمنية والسياسية والاجتماعية من دون تحقيق أي إنجاز فعلي في مواجهة إسرائيل.

ثانياً: جوهر الانتفاضة الأكثر تداولاً بين الثوار والأعمق دلالة على ما يقوم به المتنفذون هو استعادة الكرامة. لأنّ حجم الضريبة التي دفعها الشعب السوري في سبيل هذه الممانعة الملتبسة هو المزيد من الإمعان في مصادرة الحقوق السياسية الفردية والإنسانية.

ثالثاً: أظهرت الانتفاضة السورية أنها تجاوزت الخوف من آلة القمع والقتل، وأسقطت في هذا الجانب العميق هيبة النظام الأمني-السياسي.

رابعاً: كشفت الانتفاضة السورية - بخصوصيتها النضالية -، حجم الخداع الهائل الذي تقوم عليه معادلة السلطة-الممانعة ومدى ازدياد هذه السلطة الممانعة بإرادة الشعب وعدم ثقته به.

مأثرة الثوار السوريين بعد عام على انتفاضتهم، هي في إصرارهم على التمسك بحقهم بالحرية، فالحرية هنا هي بنت الكرامة التي جعلت السوريين يسقطون مقولة لا يزال البعض يروج لها عن قناعة أو ضعف

أخلاقي، " أن الشعب السوري لا يُحكم إلا بالبطش والاستبداد هذا حالهم منذ زمن معاوية بن أبي سفيان ".

والبعض يستند إلى الأحكام السلطانية بحجة أن فقه " الغلبة " هو سيرة أهل السنة انطلاقاً من أنه فقه " سلطة " و " دولة "، فيما الفقه الشيعي هو فقه " المعارضة " ولم ينهك فقهاؤه عموماً بفقه الدولة والسلطة، لكنّ الصحيح أنّ الثورات الشيعية في التاريخ الإسلامي هي محل اعتداد واعتزاز لأنها كانت ثورات ضد الظلم، باعتبار أن التشيع لم يكن مذهباً فقهياً، أي لم يكن في مقابل التسنن، بل كان خياراً حاسماً في وجه الظلم أياً كان مصدر هذا الظلم...

أمام ما يجري في سورية اليوم ثمة ظلم متراكم ومأسس في السلطة، ظلم إثباتاته ووقائعه معلنة وواضحة، لا شبهة فيها، ظلم مرفوض دينياً وإنسانياً، ولا تكفيه مقولة الممانعة ولا المقاومة المزعومتين ولا سواهما لتغيير حقيقته...

الإمام الحسين خرج على " أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يزيد بن معاوية " الذي كان يقا تل أعداء الدولة الإسلامية ويدافع عنها وينشر الإسلام والعقيدة (هذا كان خطاب السلطة آنذاك في مواجهة الحسين). الحسين حينها قام على الخليفة رغم هذه الإنجازات، قام عليه لأنه قاتل ومفسد في الأرض. وهل هناك فساد اشد وأقسى من الظلم؟

هكذا يتحول الإمام الحسين إلى رئيس قبيلة، ومساحة عصبية وقبلية ومساحة لتعزيز الخرافة وخطاب العصبية والقتل، ذلك أنّ كل فكرة

إنسانية تعجز عن تقديم نفسها بما هو أعمّ من خصوصيتها، تموت. وكما قال أحد الفلاسفة، إن كل من يخصص المبدأ الأخلاقي ويخصّه بطائفة أو قبيلة، يكون ينفي الصفة الأخلاقية عن هذا المبدأ. هكذا نذهب بنهضة الحسين إلى العصبية والقبلية والقتل، وهكذا يصير الحسين زعيم قبيلة.

سوء القلمون

عندما قرر "حزب الله" احتلال القلمون، واجه في مدينة يبرود مقاومة شرسة؛ فيبرود إحدى أكبر حواضر منطقة القلمون السورية التي يسميها مقاتلو المعارضة بـ "عاصمة الثورة في القلمون".

تمتد منطقة جبال القلمون بمحاذاة سلسلة جبال لبنان الشرقية من عرسال حتى زحلة، وتضم نحو ١٧ بلدة أهمها: صيدنايا، ومعلولا، ورنكوس، والنبك، ويبرود، وقارة، وعسال الورد ودير عطية وغيرها، بما يزيد تعداداً عن مليون نسمة. كما أنها كانت تشكل جبهة خلفية للمقاتلين في دمشق وريفها، فضلاً عن التواصل الذي تؤمنه مع عرسال، الداعمة للثورة (خط عرسال-النبك).

وتعتبر نهاية عاشوراء ١٤٣٤هـ، بداية الهجوم الفعلي على القلمون، بعد مدة غير قصيرة من القصف المتقطع، والاستطلاع بالنيران. اختيار الهدف الأول للحملة كان واضح الدلالة؛ فلطالما شكّل قطع التواصل بين عرسال والداخل السوري هدفاً مشتركاً للنظام ولـ "حزب الله"، ولذلك بدأ الهجوم على بلدة قارة.

الخطة العسكرية التي اعتمدها " حزب الله " قامت على النفس الطويل، لكنها لم تخف سوءته، فيوم حقق انتصاره على ثوار يبرود ظهر الكثير من وجهه الطائفي، فضلاً عن الإفراط في استخدام النيران، وارتكاب المجازر بحق المدنيين، لا سيما في قارة (على بعد ١٠٠ كلم من دمشق) التي تعرضت إلى قصف همجي؛ ألقت الطائرات براميل المتفجرات، وقُصفت بصواريخ (سكود) ومدفعية الدبابات، على مدى خمسة أيام، بعد تهدم معظم البلدة، ما دفع الأهالي للطلب من الثوار إلى المغادرة، على أن تبرم فعاليات البلدة اتفاقاً مع جيش النظام يتضمن دخوله البلدة دون التعرض للمدنيين، وبناءً على هذا الاتفاق دخلت قوات الأسد والشبيحة إلى البلدة، وكانت المجازر المروعة..

معركة يبرود لم تكن منفصلة عن عرسال أيضاً، فتلك البلدة التي تحتضن آلاف العائلات من يبرود تشهد المزيد من تدفق اللاجئين من القلمون وتشكل، بحكم الجغرافيا وأوجه الديمغرافيا، عنصراً مؤثراً في القتال كان حاضراً دوماً في بال المهاجمين والمدافعين في القلمون، لذا فقد خضعت البلدة إلى مراقبة ومتابعة أمنية من قبل " حزب الله "، وسط اعتقاد لدى أنصار " حزب الله " أنها هي معبر سيارات الموت الآتية من يبرود.

بعد معارك القلمون نقل " حزب الله " التوتر في لبنان والمنطقة والفتنة المذهبية إلى مستوى جديد.

”حزب الله“ إلى أين: سيناريوهات مستقبلية

علي حسين باكير

باحث في منظمة البحوث الإستراتيجية
الدولية (USAK) مقرها أنقرة

منذ تأسيسه في ثمانينات القرن الماضي، ربط "حزب الله" وجوده بشرعية دوره ووظيفته، حينما قدّم نفسه على أنه حزب مقاوم لـ"إسرائيل"، هدفه تحرير الأراضي اللبنانية المحتلة. لكن وكما أصبح معلوماً لدى الجميع باعتراف الحزب وأمينه العام وباعتراف مشغليه في طهران، فإن ذلك الادعاء كان مجرد غطاءٍ لعمالته لإيران ولحقيقة دوره في كونه فرقة عسكرية من فرق الحرس الثوري، وذراعاً عسكرياً طويلاً لإيران على البحر المتوسط.

مراحل بارزة في مسيرة "حزب الله"

لقد نجحت خطة الحزب لحوالي عقدين من الزمان، استطاع من خلالها إخفاء حقيقة دوره بالمواربة، وزيادة شعبيته المحليّة والإقليمية والدولية في أعين اللبنانيين والعرب والمسلمين من خلال الترويج لهذا الدور الذي خدع به خلقاً كثيراً. وخلال هذه المدّة قويت شوكة الحزب سياسياً وعسكرياً ومالياً ودينياً وإعلامياً، بحيث أصبح من الصعب جداً

على أحد أن يطالبه باحترام مصالح الدولة والشعب اللبناني فضلاً عن مطالبته بنزع سلاحه أو مواجهته عسكرياً.

لقد أصبح الحزب من القوّة بمكان بحيث إنّه لم يعد بحاجة إلى المراوغة، أو الغطاء الشرعي، وقد دفعته هذه القوة إلى مقتل، بعد أن جعلته يطغى ويستكبر، فتآكلت شرعيّة "حزب الله" وصولاً إلى انهيارها بشكل كامل وتام مع دخول "حزب الله" إلى جانب نظام الأسد بقوّة في المعركة ضد الشعب السوري، بعد اندلاع الثورة السورية في آذار/ مارس من العام ٢٠١١ .

لقد جاء هذا التحوّل بشكل متدرج ومتراكم، وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على أنّ الحزب فقد توازنه بالكامل بعد حرب عام ٢٠٠٦، إذ إنّ شرعيته كانت قد تبخّرت إثر مرورها في عدّة مراحل أساسية منها:

- العام ٢٠٠٠: انسحبت "إسرائيل" من جنوب لبنان ساحبة بذلك الغطاء الذي كان "حزب الله" يتدبّر به لتعزيز موقعه السياسي والعسكري والديني في لبنان، كنموذج ناجح لتصدير الثورة الإيرانية، وبذلك فقد طالبت أصوات لبنانية كثيرة الحزب بتسليم سلاحه لانهاء مهمته المفترضة التي كان يعلن أنّه يحمل السلاح من أجلها، لكنّ الحزب رفض وبجث عن مبررات أخرى، فربط تسليم سلاحه بانسحاب "إسرائيل" من مزارع شبعاً باعتبارها مزارع لبنانية. ومع رفض النظام السوري تسليم لبنان أوراقاً تقر بلبنانية المزارع المحتلة أخذت هذه

الذريعة أيضاً بالتراجع، فربط الحزب سلاحه ببقاء معتقلين لدى "إسرائيل" وبقاء التهديدات الإسرائيليّة، ثم بنى على ذلك مقولة ردعه لـ "إسرائيل" التي تقول إنّ صواريخ "حزب الله" تحمي لبنان وتردع "إسرائيل" من الهجوم على لبنان لأنّ "إسرائيل" ستلتقى صواريخ بدورها.

- العام ٢٠٠٦: في هذا العام، انهارت معادلة أمن الصواريخ، عندما دمّرت "إسرائيل" جزءاً واسعاً من جنوب لبنان وتسببت في هجرة حوالي مليون لبناني من مناطق مختلفة، واستهدفت قدرات "حزب الله". ولقد استعمل "حزب الله" المال الإيراني لإسكات غضب شرائح واسعة من بيئته ولإعادة إعمار ما تهدم، إضافة إلى التمويل الذي أمتته الدولة اللبنانية من خلال جهات مانحة، لكن ذلك أدى في جزء منه إلى فساد واسع داخل كوادر الحزب وقياداته.

- العام ٢٠٠٨: في ٧ أيار/ مايو ٢٠٠٨ تحوّل "حزب الله" إلى استخدام قوته ضد من لا يؤيدونه من الشعب اللبناني، فاجتاح الأحياء السنية في بيروت، وقتل وجرح المئات من المواطنين اللبنانيين السنة، وحاول اجتياح مناطق درزية في جبل لبنان، الأمر الذي تسبب بكشف حقيقته على الصعيد العربي، ففقد الحزب في هذه المرحلة شرعيته العربية.

- العام ٢٠١١: وفيه اندلعت الثورة السوريّة ضد نظام الأسد، وكما كان متوقعاً هبّ "حزب الله"، لنجدته عبر تقديم الدعم

الإعلامي والسياسي والأمني وصولاً إلى الدعم العسكري، عبر قواته العسكرية بشقيها النخبة والجنود، بالإضافة إلى المتطوعين، ليشكل بذلك رأس حربة لما بقي من قوات النظام في قيادة الهجوم العكسي، واحتلال بعض المناطق، لاسيما على الحدود مع لبنان، ومشاركة قوات " حزب الله " في مجازر مروّعة بحق المدنيين تم ارتكابها في مناطق مختلفة من سورية. وقد اعتمد الحزب على ذرائع مختلفة لتبرير تدخله في سورية للرأي العام المحلي والعربي والإسلامي، وقد تدرجت هذه التبريرات على الشكل التالي:

- التدخل يحمل طابعاً فردياً غير مرتبط بقرار حزبي أو مركزي بالقتال في سورية.
- التدخل يتم للدفاع عن اللبنانيين في الخارج، ومن بينهم اللبنانيون المقيمون في سورية وعلى الحدود.
- التدخل يهدف إلى حماية العتبات المقدسة الشيعية.
- التدخل هدفه حماية قوى الممانعة من المؤامرة والدفاع عن فلسطين وعن لبنان.

هذه التبريرات ظلّت تنساق حتى نهاية شهر أبريل/ نيسان ٢٠١٣ تقريباً، حيث قام نصر الله بزيارة للجمهورية الإيرانية في ٢٤ أبريل/ نيسان ٢٠١٣ أتبعها بزيارة سرّية أخرى أوائل شهر مايو/ أيار ٢٠١٣، تمخّض عن تينك الزيارتين، قرار حاسم برمي " حزب الله " كل

ثقله في كفة النظام السوري مهما كلف الأمر، معبراً عن ذلك بقوله إنّ "للنظام السوري أصدقاء حقيقيين، لن يسمحوا بسقوطه" ^(١)، وقد ساق نصر الله قرار حزبه في التدخل الكبير في ١٩ مايو/ أيار ٢٠١٣ بأنّه يأتي لحماية ظهر المقاومة، ولصد خطر من سماهم بـ "التكفيريين" المنتشرين على الحدود مع لبنان، واعداءً أنصاره بالنصر في سورية. ^(٢)

وقد بدا أنّ الإشارة إلى من سماهم "التكفيريين" رسالة مدروسة إلى الجانب الأمريكي والإسرائيلي يقول من خلالها إنّ تدخله في سورية، إنّما يأتي لمقاتلة هؤلاء الذين يشكلون معضلةً أيضاً لهم، وهو الأمر الذي يفسر السكوت الإسرائيلي والأمريكي على قرار إيران، وخطوة "حزب الله" الأخيرة الكبيرة والواسعة، بل إنّ المعلق الإسرائيلي "جاكي كوخى" كتب تقريراً في صحيفة معاريف في ٣١/٥/٢٠١٣، يقول فيه صراحة إنّ هناك التقاء مصالح غير معلن بين "إسرائيل" و"حزب الله" بشأن الموقف من نظام الأسد ^(٣).

لقد عرّت الثورة السورية "حزب الله" تماماً، ونزعت عنه أية ورقة توت كانت قد تبقت، وأفقده التدخل لدعم النظام واجتياح القرى السورية وارتكاب المجازر بحق المدنيين العزل شرعيته على المستوى

(١) شاهد الفيديو:

<http://www.youtube.com/watch?v=KMBI-VY-3E>

(٢) شاهد الفيديو:

<http://www.youtube.com/watch?v=IdD6rhVQ8d4>

(٣) انظر مقال الصحفي الإسرائيلي في صحيفة معاريف بتاريخ ٣١/٥/٢٠١٣:

<http://www.nrg.co.il/online/16/ART2/475/481.html?hp=16&cat=170&loc=11>

الإسلامي، كما فقد الحزب وزعيمه أي نوع من أنواع الحد الأدنى من المصادقية لدى الشعوب.

إن المتمعن بالفترة الممتدة منذ العام ٢٠٠٦ وحتى اليوم سيلاحظ أنّ نصر الله وعد اللبنانيين في عام ٢٠٠٦ بصيف هادئ، وإذا به يتحول جحيماً على اللبنانيين، ووعده بعدم استخدام السلاح في الداخل اللبناني، وحلف أغلظ الأيمان؛ لكنه نكث بعهده واستخدمه في غزو بيروت عام ٢٠٠٨، ثم عاد وهدد باستخدامه ستين مرة إن اقتضى الأمر. وكان نصر الله قال إنّ حزبه هو حزب لبناني، ثم أعلن بأنّه يتشرف أن يكون جندياً من جنود الولي الفقيه الإيراني، وقال إنّ حزبه لا يعمل خارج لبنان، وإذ بعناصره وخلاياه منتشرة في مصر والعراق والبحرين ودول الخليج العربي، ناهيك عن آسيا الوسطى وأميركا اللاتينية وأماكن أخرى. وقد اتهم الحزب "إسرائيل" باغتيال الحريري، وهو اليوم المتهم الأول، ليس من قبل المحكمة الدولية فقط، بل من قبل شريحة واسعة من اللبنانيين باتت تعتقد ذلك فعلاً، وخصوصاً بعد موقف الحزب مما يجري في سورية. كما أنّه متهم في العديد من العمليات الداخلية والخارجية، وآخرها التفجير في بلغاريا^(١).

(١) بلغاريا تسلم لبنان نتائج تحقيق عملية بوجاس وتطلب التعاون الكامل، معن نيوز/

٢٠١٣/٢/١٣

<http://maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=564847>

”حزب الله“ في ظل الثورة السورية

لقد كان من فضل الثورة السورية أنها أسقطت ورقة التوت عن "حزب الله"، وأكدت ثلاثة معطيات أساسية عن الحزب، هي:

١- هوية الحزب طائفية وليست قيمية:

فحتى فترة ما قبل الثورات العربية كان لا يزال هناك لبسٌ لدى بعض الشرائح العربية حول ما إذا كان الحزب طائفيًا أم أنه غير معنيٍّ بهذه الحسابات الضيقة الفتوية، لكن أظهرت الأحداث فيما بعد بشكل واضح وصريح؛ أن الحزب غير معنيٍّ بالشعارات والقيم الأساسية التي طالما ادعى أنه يعمل في إطارها، وهي الذود عن المستضعفين ومحاربة المستكبرين والطغاة، وأن الرابط الفئوي الطائفي هو الأقوى وهو الأساس الذي يتمحور حوله فكر وأداء الحزب.

٢- الرابط الذي يجمعه بطهران وسورية عضوي وليس براغماتياً:

نظراً للنقص المعرفي في فهم طبيعة العلاقة التي تربط "حزب الله" بالنظامين السوري والإيراني؛ راهن كثيرون على أنّ الحزب براغماتي إلى درجة كافية تحوّله بأن لا يتورط في دم السوريين، وأن لا يقف موقفاً سلبياً من الثورة السورية، فيبقى صامتاً في أفضل الأحوال، إلا أنّ هؤلاء اكتشفوا فيما بعد أنّ الحزب كان أشد شراسة في الدفاع عن النظام السوري، من كثير من رجال النظام السوري نفسه، وذلك لأن الحزب ليس مستقلاً، في ذاته، وإنما هو مجرد أداة وظيفية.

٣- الدور وظيفي وليس ذاتياً:

فقد تبين أنّ الحزب لا يتحرك استجابةً لتحديات فرضت عليه؛ وإنما يعمل وفق قرار مرجعيته، التي أوجدته ودعمته، وفي النهاية وظفته واستخدمته في "أجندات" لا علاقة لها بالسبب الذي قال إنه أنشئ من أجله. لقد تأكد ذلك بشكل واضح وتراكمي، بما يثبت أن الحزب مجرد أداة، وليس له أي كيانية قائمة بحد ذاتها من ناحية الاستقلال، سواء بالقرار أو التمويل أو التسليح، والهدف الذي يسعى وراءه، وسائر الأمور الأخرى، وإن وُجد ما يدعي البعض أنه استقلالية، فهو موجود بالقدر الذي يخدم فيه "أجندة" ومصالحة القيمين عليه من الخارج، كالنظامين الإيراني والسوري.

مستقبل "حزب الله"

لذلك وبناء على ما تقدّم كله، فإن الحزب من ناحية الشرعية يكون قد انتهى فعلياً، أمّا من الناحية العملية فإن مستقبله كميليشيا مسلّحة مرتبط بتقديرنا بثلاثة معطيات رئيسة هي:

أولاً: مصير النظام السوري

يرتبط مصير "حزب الله" بمصير النظام السوري إلى حدّ كبير، خاصّة بعد أن أوغل الحزب في دماء السوريين بشكل فاضح. وبغض النظر عن الفترة التي سبقت فيها الأسد في موقع الرئاسة، فإن نظامه سينهار في النهاية، وبقدر ما يبقى حتى ذلك الحين بقدر ما سيزيد غرق

الحزب في دماء السوريين، فالمعادلة تعبر عن نفسها بشكل عكسي، وما إن يسقط الأسد حتى تكون التداعيات المتوقعة على "حزب الله" عظيمة، ومنها:

١- **عزلة إقليمية:** إذ إن سقوط النظام السوري سيؤدي إلى انقطاع القناة التي تصل البحر الإيراني بالبركة اللبنانية التي يديرها "حزب الله" الآن، هذا الانقطاع سيؤثر من دون شك بشكل كبير على تلقي الدعم المالي والعسكري والأمني والسياسي الإيراني، كما سيؤدي إلى انقلاب سريع في المشهد اللبناني لغير صالح إيران وحلفائها، وحتى لو بقي "حزب الله" صامداً خلال الفترة الأولى لهذا الزلزال الجيوبوليتيكي؛ فإن موارده وقدراته ستشح مع مرور الوقت.

وليس هناك من شك في أنّ الدور السلبي الذي لعبه الحزب ويلعبه لصالح نظام الأسد والولي الفقيه ضد الشعب السوري الآن؛ سيدفع ثمنه لاحقاً، ليس بأقل ذلك التشديد على عزله وجعله حالة لبنانية داخلية ضعيفة غير قادرة على لعب أدوار إقليمية لصالح "أجنادات" خارجية، وعلى رأسها الأجندة الإيرانية.

٢- **عزلة داخلية:** إذ إن لـ "حزب الله" وضعه الداخلي الخاص؛ الذي قد ينفجر في أي لحظة بمعزل عن سوريا وإيران، فسلح الحزب بدأ منذ عام ٢٠٠٠ يُثير انقساماً في لبنان، حول مدى مشروعيته والاستثمار السياسي له، ومن ثمّ تعمق الانقسام بشكل كبير بعد عام ٢٠٠٦، والاعتداء على بيروت وأهلها في عام ٢٠٠٨، وإسقاط نتائج

الانتخابات الشعبية ومصادرة السلطة السياسية لمصلحته باستخدام السلاح، وصولاً إلى اتهام المحكمة المختلطة الخاصة برفيق الحريري عام ٢٠١١ عناصر تابعين لـ " حزب الله " باغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق.

كل ذلك مضافاً إلى انقطاع الدعم الخارجي، من شأنه تحجيم " حزب الله " داخلياً، ولن يكون باستطاعته الاستقواء على شركائه في الوطن كما فعل ويفعل، كما أنه سيكون في موقع أضعف، فإن لم يسعَ إلى معادلة تستوعبه داخلياً بالشكل الذي يُرضي اللبنانيين ومختلف الفرقاء في لبنان، ليتحول إلى حزبٍ عادي شأنه في ذلك شأن باقي الأحزاب اللبنانية؛ فإنه سيعرّض نفسه لعزلة داخلية وجودية لا بد وأن تنال من حضوره وإن طال الأمد.

٣- التفكك والانهيال الداخلي: يعاني الحزب منذ عام ٢٠٠٦ من حالة تآكل داخلي، لجهة الفساد المالي لكبار الشخصيات فيه وأقاربهم، وكذلك تورطه المفضوح في تغطية عمليات تبييض أموال وتجارة مخدرات في لبنان، ناهيك عن الخروقات الأمنية لصفوفه، وسيكون من شأن ذلك التأثير عليه، ومد أسباب انهياره ذاتياً بالدعم.

ثانياً: العلاقة مع نظام طهران و المفاوضات الأمريكية - الإيرانية
إن طبيعة العلاقة بين " حزب الله " ونظام الملالي - والتي تُختصر كما بات معلوماً في كون الأول مجرد فرع من أفرع الحرس الثوري للعمليات الخارجية -، تلعب دوراً كبيراً في تحديد مستقبل الحزب.

صحيح أنّ من أساسيات السياسة الإيرانية أن تقدّم طهران مصلحتها القومية على أي مصلحة أخرى، مهما بلغت من أهمية؛ ففضية إيران- كونترا ليست استثناءً يستشهد به في هذا المجال، كما أنّ فضيحة "عوفر" في التعاون مع "إسرائيل"، والتي تم كشفها منتصف عام ٢٠١١ لن تكون الأخيرة، لكنّ الصحيح أيضاً، أن نظام الملالي في المبدأ لا يتخلى عن أذرع وحلفائه مجاناً، وإذا كان لا بد من ذلك، وهو يتوقّف على قرار منه، فهو يسعى أن يكون التخلي عنهم مقابل مكسب استراتيجي على أن يتم الأخذ بعين الاعتبار مصالح هؤلاء الحلفاء أو الأذرع. هذه المقدّمة ضرورية لشرح الكيفية التي يمكن أن ترتبط فيها المفاوضات الأميركية- الإيرانية الحالية بمصير "حزب الله".

هناك احتمال كبير بأن تنتهي المفاوضات بنتيجة إيجابية لإيران والجانب الأمريكي عبر صفقة تضمن مصالح الطرفين، وللدلالة على هذا التوجّه، يمكن الرجوع مثلاً إلى عرض "الصفقة الكبرى" السري بين الولايات المتحدة وإيران في العام ٢٠٠٣، فهو خير دليل على فهم هذا النمط من السلوك الإيراني.

هذا العرض جاء في وثيقة سرية إيرانية تم إرسالها إلى الولايات المتحدة عبر السفارة السويسرية في طهران، بشخص السفير "تيم غولدمان"، وبموافقة المرشد الأعلى العام ٢٠٠٣، وتضمّنت الوثيقة آنذاك عرضاً إيرانياً سرياً باتجاه إنجاز "صفقة كبرى"، تقوم طهران بمقتضاها بالاعتراف بـ "إسرائيل"، وإنهاء دعم الحركات المسلحة (بما

فيها " حزب الله "، وإعادة العلاقات مع واشنطن، مقابل إنهاء السلوك العدائي لأميركا، وتعهّد الأخيرة بعدم مهاجمة إيران، ورفع العقوبات الاقتصادية كلها، وإعادة الأموال التي تم تجميدها إبان فترة الشاه، وعدد آخر من المطالب، أهمها: الاعتراف بشرعية مصالح إيران في المنطقة كقوة إقليمية شرعية. وقد تم رفض الصفقة من قبل صقور الإدارة الأمريكية آنذاك، لأنهم كانوا في موقع قوة عند احتلال العراق ولم يكونوا في حاجة إلى تقديم أية تنازلات.

هذا يعني أنّ إيران مستعدة للتنازل عن " حزب الله " ودوره كميليشيا مسلّحة مقابل صفقة، وهو ما قد يحصل دوماً، لاسيما في المفاوضات الجارية الآن بين إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما، والنظام الإيراني. في هذه الحالة فإن إيران قد تعمل على الإبقاء على " حزب الله " كحزب سياسي في لبنان شأنه شأن سائر الأحزاب.

لكن في حال لم يتم الاتفاق على صفقة ما، بين الطرفين الأميركي والإيراني، فمن المتوقع أن يستمر الدعم الإيراني المقدم لـ " حزب الله "، وأن يستمر الأخير في لعب الدور المنوط به كذراع إيرانية. وفي هذه الحالة؛ فإن مصير ومستقبل " حزب الله " سيكون مرتبطاً بالعناصر الأخرى المتحرّكة التي سبق ذكرها والمتعلّقة بمصير النظام السوري، أو بموقعه داخل المعادلة اللبنانية.

ثالثاً: الوضع داخل لبنان

لوضع داخل لبنان تأثير كبير على تحديد مستقبل " حزب الله ". صحيح أنّ وضع لبنان يتأثر بشكل كبير بمحيطه، لكن الصحيح أيضاً أن لبنان له دينامياته وحيثياته الداخلية الخاصة، القابلة للانفجار في أية لحظة، بمعزل عن التطورات الإقليمية، وإن كانت الأخيرة تساعد على تسريع عملية الانفجار هذه.

وفي هذا السياق، فمن السيناريوهات التي قد يشهدها لبنان والتي ستترك بالضرورة حال حصولها انعكاساتها على " حزب الله "، هي:

(١) سيناريو الفوضى:

أدى احتلال " حزب الله " لعدد من القرى السورية، ومشاركته لنظام الأسد في ارتكاب مجازر ضد المدنيين في مناطق مختلفة داخل سوريا؛ إلى ردود فعل سواء من الجانب السوري والجماعات المسلحة التي ردت على الحزب بتفجيرات تطال مناطق تابعة له في معاقله، وداخل بيئته الحاضنة، ولا سيما في الضاحية الجنوبية، أو من خلال بعض اللبنانيين، جراء حالة الشعور بالقهر والظلم والقمع والإسكات من قبل الحزب وأدواته والأجهزة التابعة له.

إن استمرار هذا السيناريو على شكله الحالي سواءً لجهة تدخل " حزب الله " في سوريا، واستقوائه على المدنيين السوريين واللبنانيين، أو لجهة الرد على هذا التدخل بتفجيرات في الداخل اللبناني، تطال الحزب أو حلفاءه، من شأنه أن يؤدي إلى فوضى في لبنان. هذه الفوضى

ستؤدي إلى استنزاف " حزب الله " ، مالياً وسياسياً وأمنياً وعسكرياً، ناهيك عن تشتيت جهوده وتركيزه وامتصاص قدراته في جبهات متعددة على مساحات واسعة، وهو ما سيؤدي إلى انكشافه وضعفه.

٢) سيناريو الحرب الطائفية:

بسبب حالة النعمة والكبت والمعاناة التي يعاني منها الشعب اللبناني بشكل عام، وشرائح معينة بشكل خاص كالسنّة، وذلك نتيجة الاضطهاد الذي يتعرضون له، ومعادلة " صيف وشتاء تحت سقف واحد "، فمن الممكن جداً أن يتطور الوضع الداخلي اللبناني إلى حرب طائفية، في ظل تآكل الدولة وأجهزتها المختلفة وحلول " حزب الله " محلها في كل شيء، خاصة أن الأجهزة القليلة التي كان اللبنانيون لا يزالون يراهنون عليها -كالجيش اللبناني مثلاً-؛ فقدت هي الأخرى مصداقيتها عند شريحة من اللبنانيين نتيجة انحيازها لـ " حزب الله "، ونتيجة عجزها عن القيام بوظائفها الأساسية التي تتضمن حماية المواطن اللبناني من الاعتداءات، بما فيها اعتداءات الميليشيات المسلحة و " حزب الله "، بالإضافة إلى الدفاع عن الأراضي اللبنانية إزاء الاعتداءات الخارجية، ومن بينها اعتداءات النظام السوري على الأراضي والمواطنين اللبنانيين.

هذا الوضع قد يتطور إلى اندلاع حرب طائفية، وفي هذه الحالة؛ فإن سلاح " حزب الله " الثقيل الذي يتفاخر به على الدوام لن يكون بالضرورة عاملاً حاسماً في معركة من هذا النوع، وفي هذه الحالة فإن

" حزب الله " سيكون قد انتهى بنهاية المعادلة اللبنانية نفسها التي قد توجد أحزاباً وميليشيات جديدة.

٣) سيناريو الحرب الإسرائيلية الشاملة:

لا يمكن استبعاد إمكانية اندلاع حرب بين " إسرائيل " و " حزب الله " أيضاً، في أي وقت، قادم رغم أنّ المرحلة الحالية لا ترجّح ذلك لعدّة أسباب منها:

- أنّ الجبهة اللبنانية مع " إسرائيل " تكاد تكون الأكثر استقراراً وأمناً لـ " إسرائيل "، وهي الأكثر هدوءاً بين باقي الجبهات منذ العام ٢٠٠٦، كما لم تكن بالسابق على الإطلاق، وهو ما يعني أن ليس هناك من مصلحة لتل أبيب لتغيير هذه المعادلة القائمة.
- أن " حزب الله " متورط في سوريا وغارق حتى أذنيه في الحرب السورية، وبالتالي ليس له مصلحة في فتح جبهة أخرى للحرب. لكن على فرض أنّ الحرب اندلعت بسبب خطأ في الحسابات عند أحد الأطراف، فإنها ستكون الحرب الأقوى من دون شك على " حزب الله " .

رابعاً: تغيير الدور الوظيفي للحزب

هناك احتمال في أن يتغيّر الدور الوظيفي للحزب وهو ما يعني إعادة تقديم نفسه من باب آخر غير باب مقاومة " إسرائيل "، وذلك للحصول على شرعية جديدة أو لشرعنة دوره بالأحرى.

لقد أعطى الحزب عدّة مؤشرات على انفتاحه تجاه هذا الخيار، من بينها محاربة التطرف الديني، وما يسميه "الجماعات الإرهابية"، أو "الجماعات التكفيرية" في سوريا.

كما رأينا فإن مستقبل ودور "حزب الله" مرتبط بعدد من العناصر المتحرّكة المستقلة والمرتبطة مع بعضها البعض في الوقت نفسه، وتحرك كل عنصر من هذه العناصر ينجم عنه سيناريو يكون له انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على طبيعة ودور "حزب الله"، ناهيك عن مصيره، لكن يبقى العنصر السوري هو الأهم حالياً في المعادلة لناحية تحديد مصير "حزب الله"، لا سيما أنّ الحزب -بتدخله المباشر- ربط مصيره بمصير الأسد، وبغض النظر عن أيّة معطيات أو حسابات، فإنه من غير المنطقي توقع استمرار نظام الأسد، وحينما يسقط سيضطر الحزب أن يدفع ثمن ما فعله بحق الشعب السوري واللبناني معاً. هذا ما ستفرضه الجغرافيا والسياسة، والديموغرافيا عاجلاً أم آجلاً.

المحتوى

| | |
|----|--|
| ٥ | تقديم الأستاذ عبد الله الطنطاوي |
| ٩ | "حزب الله": النشأة والانطلاق والانتماء والولاء..... |
| ١٣ | تأسيس "حزب الله" وانتماؤه وولائه..... |
| ١٣ | أولاً: الأساس التنظيمي لـ "حزب الله" وانبثاقه ... |
| | ثانياً: التحولات في الساحة الشيعية اللبنانية وانشقاق |
| ١٦ | حركة أمل..... |
| ١٨ | ثالثاً: بروز اسم "حزب الله"..... |
| ١٩ | رابعاً: إعلان تأسيس "حزب الله"..... |
| ٢١ | خامساً: منهج حزب الله..... |
| ٢٢ | سادساً: التكوين والبنية التنظيمية لـ "حزب الله"... |
| ٢٤ | سابعاً: الأمانة العامون لحزب الله "القيادة"..... |
| ٢٥ | ثامناً: هوية حزب الله "الانتماء والولاء"..... |
| ٣٣ | سجل العار |
| ٣٣ | صناعة الفتنة..... |

- ٣٦شهود زور على مجور الدماء السورية.....
- ٤١التكفيريون؛ عدو " حزب الله " الجديد !
-معادلة أمن " إسرائيل " من أمن سورية: أعلنها
- ٤٦مخلف وتبناها نصر الله
- ٥٣انتشار " حزب الله " في سورية
- ٥٦حقيقة ثُبل والزهراء
- ٥٩معارك غير مجدية
- ٦٢ " حزب الله " في القصير
-نصر الله يكشف حصيلة اجتماعه بخامئي: دعم
- ٦٨النظام السوري بأي ثمن!
- ٧٣نصر الله تحت مقصلة لسانه!
- ٧٨عار المجازر الطائفية
- ٨١ **حزب الله والشيعنة**
- ٨٨إفلاس حزب!
- ٩٢يزيد سورية... وحسينيوها
- ٩٥سوء القلمون
- ٩٧ **”حزب الله“ إلى أين: سيناريوهات مستقبلية**

- ٩٧ " حزب الله " مراحل بارزة في مسيرة
- ١٠٣ " حزب الله " في ظل الثورة السورية
- ١٠٤ مستقبل " حزب الله "



تعريف بمركز أُمّية للبحوث والدراسات الاستراتيجية

مركز مدني مستقل، يعمل في إنتاج ونشر المعرفة الاستراتيجية لتكون مادة أولية أمام صناع القرار.

ويهدف مركز أُمّية إلى:

- امتلاك رؤية شاملة ودقيقة دائمة التحديث للمشهد الدولي ، وتداعياته على المنطقة العربية والإسلامية.
- المشاركة الفاعلة في إنتاج المعرفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العالمية المعمقة وفق قواعد ومعايير البحث العلمي العالمية.
- نشر وتعزيز المعرفة الاجتماعية والسياسية على دوائر الباحثين والنخب وصناع القرار.
- خدمة ودعم مشاريع الإصلاح والتنمية للدولة الساعية للنهوض.

لذا فإن المركز يسير في ثلاث خطوط متوازية لضمان تحقيق أهدافه:

أولاً : الجهود البحثية الداخلية للعاملين بالمركز

ثانياً : التواصل والتعاون مع مراكز البحوث والدراسات والأكاديميات

العالمية ذات الصلة بعمل المركز ، وعقد شراكات تعاون متنوعة.

ثالثاً : التنسيق مع الباحثين من خارج المركز في إنتاج الملفات البحثية

المتخصصة.

ويسير المركز في عدة مجالات للعمل منها:

- ١- إنتاج ونشر المعرفة الاستراتيجية والتدريب عليها في مختلف فروع العلوم الإنسانية (اجتماعي، سياسي، اقتصادي، قانوني، إعلامي).
- ٢- الرصد والتحليل الإعلامي والسياسي.
- ٣- إنتاج البحوث والدراسات.
- ٤- إنتاج التقارير والنشرات الدورية.
- ٥- إنتاج الكتب والملفات المتخصصة.
- ٦- التنظيم والمشاركة في المؤتمرات والندوات وورش العصف المتخصصة.
- ٧- تنظيم المسابقات البحثية لاكتشاف الباحثين والمفكرين الشبان الجدد.
- ٨- إنتاج والمشاركة في البرامج والحوارات التلفزيونية.

صدر عن مركز أمية

- سورية تاريخ وثورة ، إعداد مجموعة من الباحثين.
- سورية: أزمة نظام وثورة شعب ، الدكتور عمر اسكندر.
- الأمل وأثره في حياة الأمة ، الدكتور محمد عبد الله أبو صعيлик .
- فقه النصيحة ، الدكتور محمد عبد الله أبو صعيлик.
- الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف ، الشيخ سعيد حوى.
- المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية ، إعداد مجموعة من الباحثين.
- نماذج من تزييف تاريخنا المعاصر (سورية وتركيا أمودجاً) ، إسماعيل غريب الكيلاني.
- رسائل في فقه الرباط والجهاد ، الدكتور محمد سعيد بكر.
- فكر وثورة ، الدكتور أحمد سعيد حوى.
- فارس الخوري : الوطنية - العروبة - الإسلام ، المحامي محمد العنجريني.
- التميز في الخطابة والإلقاء ، الأستاذ سالم موسى.
- مختصر كتاب المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، مروان زكي.
- هل الثورة السورية محرقة " حزب الله "؟! ، مجموعة باحثين.
- الوجيز في عقيدة الشيعة الرافضة ، دندل جبر.

هذا الكتاب

جاءت الثورة السورية في ١٨ آذار ٢٠١١ لتفضح المُسمى (حزب الله) وزعيمه حسن وتكشف عن وجهه المقيت عبر اصطفافه الطائفي مع رفيقه بشار بزعمهما المقاومة والممانعة، وإذا هما وجهان لعملة إيرانية فارسية شعبية حاقدة مثل أجدادهما من المجوس والقرامطة والحشاشين.

وقد قال الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات في عام ١٩٨٥ في مقابلة مسجلة مع إذاعة التحالف الوطني لتحرير سورية في بغداد:

"إن ما قتله حافظ أسد من الفلسطينيين أضعاف ما قتله الصهاينة منهم".

ولعل من التنبهات المبكرة ما قاله داعية العروبة والإسلام محبّ الدين الخطيب قبل ثمانين عاماً: "إن كل ما أصاب المسلمين عبر التاريخ كان وراءه اليهود، أو المجوس، أو كلاهما".

وكذلك ما صرح به جلالة الملك الأردني عبد الله الثاني من خطر التمدد الشيعي وكسر هلاله!

هذا الكتاب من تأليف أربعة باحثين اتسموا بالموضوعية والصدق، وأبحاثهم هنا وفي كتاب (المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية) الصادر عن مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية شاهدٌ على ما نقول..

دارعمار للنشر والتوزيع

عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجّيري
للفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب. ٩٢١٦٩١ عمّان ١١١٩٢ الأردن
E-mail: dar_ammara@hotmail.com

